المنقذ من الضلال

والموصل إلى ذي العزة والجلال

تأليف

حجة الإسلام أبي حامد الغزالي

حققه وقدم له

الدكتور جميل صليبا الدكتور كامل عياد

الطبعة الخامسة

مطبعة الجامعة السورية

١٣٧٦هـ — ١٩٥٦م

2269
.38
.366
.12

DATE ISSUED | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE
OCT 4 - JUN 3 '77
DUE JUN 15 1999

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR>
32101 032329367

al-Ghazzālī

al-Munqidh

المنقذ من الضلال

والموصل إلى ذي العزّة والجلال

تأليف

حجة الإسلام أبي حامد الغزالي

حقّقه وقدّم له

الدكتور جميل صليبا الدكتور كامل عياد

الطبعة الخامسة

مطبعة الجامعة السورية

١٣٧٦هـ — ١٩٥٦م

الغزالي

حياته — فلسفته — المنقذ من الضلال

توطئة عامة

ظل الكثيرون من المستشرقين مدة طويلة ينكرون على الفلسفة الاسلامية استقلالها في البحث ، وانتهاجها طريقة خاصة بها في معالجة المسائل الفلسفية ، حتى قال « رينان » : « إن الفلسفة الاسلامية ليست سوى فلسفة اليونان القديمة مكتوبة بحروف عربية »[1] .

ولكن هذا الحكم قد تغير في العهد الاخير ، واخذ المستشرقون الباحثون في حضارة الاسلام يعترفون للفلاسفة المسلمين بأن لهم طابعاً خاصاً مستقلاً ، وأنهم استطاعوا التقدم بالفكر البشري خطوات الى الامام في حل معضلات العالم .

ان أهم موضوع ظل الفلاسفة الاسلاميون يحومون حوله في جميع الادوار ، هو محاولة التوفيق بين الدين والفلسفة . ولعل انصراف المفكرين الى هذا

---

(١) راجع :

E. Renan : Histoire générale et sytème comparè des langues Sémitiques, Paris, 1855 p. 10 .

2269
.38
.366
.12

البحث كان من أكبر العوامل في توجيه الفلسفة الاسلامية الى ناحية معينة ، حتى اكتسبت صبغة خاصة تميزها من غيرها ، وتجعلها مستقلة في كثير من المسائل عن فلسفة اليونان القديمة ، التي لا ينكر تأثيرها العظيم في المسلمين ، وكذلك عن فلسفة الهند التي اقتبس المسلمون منها شيئاً طفيفاً .

ولما قام الفلاسفة الاسلاميون يحاولون تقريب تعاليم الدين من فلسفة أرسطو ، التي اعتبروها في المقام الاعلى من الحقيقة ، وأخذوا يسعَون لاخضاع العقائد الدينية لمبادىء هذه الفلسفة ، كان من الطبيعي أن يثير ذلك معارضة شديدة لدى المتكلمين المسلمين ، الذين هبوا يدافعون عن العقائد الاسلامية بحجج الفلاسفة أنفسهم ، ونجحوا في التوفيق بين كثير من المبادىء الفلسفية والعقائد الدينية أكثر من نجاح علماء المسيحية ، الذين حاولوا ذلك ايضاً بعد انتقال آراء أرسطو وشروحه الاسلامية الى أوروبا . ولا شك في ان السبب في تفاوت النجاح يرجع قبل كل شيء الى بساطة أُسس الدين الاسلامي بالنسبة الى التعاليم المسيحية المركبة .

بدأت محاولات التوفيق بين الدين والعقل في العالم الاسلامي من قِبَل **المعتزلة** ، الذين ساقهم البحث في العقائد الدينية الى معالجة بعض المسائل الفلسفية ، فرغبوا لذلك في الاطلاع على مؤلفات الفلاسفة اليونانيين . وهكذا كان مذهب المعتزلة من أهم العوامل في اندفاع المسلمين الى ترجمة كتب أرسطو وغيره من القدماء الى اللغة العربية .

وقد انتشرت مبادىء الفلسفة اليونانية بسرعة بين المسلمين ، وقام «**اخوان الصفا**» يحاولون في رسائلهم نشر هذه المبادىء ، ويستندون اليها في نقد الاديان والانظمة الاجتماعية السائدة .

فأصبح من الصعب بعد ذلك على علماء الكلام الدفاع عن العقائد الاسلامية دون الاستناد الى الحقائق والشواهد العلمية . ولا شك في أن انتساب « الامام

الاشعري » الى المعتزلة ، واشتغاله بالمسائل الفلسفية قبل قيامه لدعم عقيدة اهل السنة ، كان له تأثير كبير في إدخال كثير من النظريات العلمية في علم الكلام ، مثل « نظرية الجوهر الفرد » ، التي أخذها المتكلمون عن فلسفة اليونان الطبيعية ، ولكنهم توسعوا فيها واستخدموها لاغراضهم الدينية . وكان طبيعياً أن يصيب النظريات العلمية شيء من التبديل ، حتى تصلح لخدمة مقاصد المتكلمين . وهكذا انتهى الامر الى حالة شاذة نرى فيها الفلاسفة يحاولون اخضاع العقائد الدينية لنظرياتهم العلمية ، بينما نجد المتكلمين من جهة أخرى يسعون لتبديل النظريات العلمية بحسب ما تقتضيه التعاليم الدينية .

على ان قسماً من المتدينين لم يطمئنوا الى مثل هذه الاساليب ، ورأوا أن الوصول الى المعرفة الالهية ، عن طريق علماء الكلام او الفلاسفة ، غير ممكن ، فقاموا يدعون الى انتهاج سبيل العبادة العملية ، والكشف الباطني ، والمشاهدة المحضة . وهكذا نشأت « **طريقة الصوفية** » التي يظهر في كثير من تعاليمها تأثير المذاهب الفارسية والهندية .

تتمثل لنا نتيجة هذا التطور العام الذي اجتازه العالم الاسلامي في حياة شخصية فذة من عظماء الاسلام ، هو الامام « **ابو حامد الغزالي** » ، الذي قال عنه « رينان » : « انه الوحيد بين الفلاسفة المسلمين الذي انتهج لنفسه طريقاً خاصاً في التفكير الفلسفي » . وقد استعرض الغزالي في كتابه « **المنقذ من الضلال** » المذاهب الاساسية في التفكير الاسلامي ، فناقش طرق المتكلمين والفلاسفة ، والباطنية ، والصوفية ، ثم قام يدعو الى طريقته الخاصة ، التي تقرب من الصوفية ، ولكنها تشتمل على عناصر كثيرة من الطرق الاخرى . ولا عجب في ذلك ، فان الغزالي قضى شطراً غير قصير من حياته في التفتيش عن الحقيقة الدينية ، وبحث في كل واحد من المذاهب بأقصى ما يمكن من الاندفاع والتعمق ، والاستقصاء ، فأخذ من كل منها بحظ وافر ، حتى تميزت طريقته

من غيرها بخواص يمكن لذلك أن نعتبرها محصول الجهود الفكرية الماضية ، ونتيجة المباحث الاسلامية ، والحل الوسط الذي وصل الفلاسفة اليه في مسائل الدين والفلسفة .

ان حياة الغزالي مفعمة بالغرائب ، قد تخللها كثير من العواصف والانقلابات ، وهي ترشدنا الى تفهم نفسية هذا المصلح الكبير ، والمفكر السامي ، والعبقري العظيم ، وتصور لنا تطوره الفكري أحسن تصوير .

حياة الغزالي

ولد « حجة الاسلام » الامام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد بن احمد الغزالي سنة (٤٥٠ هـ — ١٠٥٩ م) بمدينة « طوس » في « خراسان » ، وكان والده يشتغل بغزل الصوف ، توفي وهو لا يزال صغير السن ، فوصى به مع أخيه « أحمد » صديقاً له من المتصوفة ، فرباهما على العبادة ، والعلم ، ونصحهما بالالتجاء الى مدرسة ليحصلا على قوتهما . وهكذا انقطع الاخوان الى العلم .

وقد ظهرت على « محمد الغزالي » آثار النبوغ والذكاء منذ الصغر ، فكان فكره الجوال ، وخياله الواسع ، يدفعانه الى الخروج من آفاق الفقه الضيقة ، واخذ ، وهو لا يزال شاباً ، يبدي عدم اطمئنانه الى أدلة المتفيقهين الملفقة . وقد سافر الى « نَيسابور » للتبحر في علم الكلام على احد كبار الصوفيين ، وهو « إمام الحرمين » ، وهناك درس المذاهب واختلافاتها ، وتعلم الجدل والمنطق ، وقرأ الفلسفة ، وابتدأ منذ ذلك الوقت بالكتابة والتأليف . وربما كانت نشأة شكوكه في العلم هنالك ايضاً .

وبعد موت « امام الحرمين » (سنة ١٠٨٥) تعرف الغزالي بوزير السلجوقيين « نظام الملك » ، الذي أسس في بغداد المدرسة النظامية ، وهي تعد أول جامعة للعلوم بالمعنى الحديث ، فعين الغزالي أستاذاً فيها سنة

(٤٨٤ هـ — ١٠٩١م). ونال هناك شهرة واسعة ، « لفصاحة لسانه ، ونكته الدقيقة ، واشاراته اللطيفة » .

وفي بغداد انصرف الغزالي إلى دراسة الفلسفة درساً عميقاً ، فطالع كتب الفارابي ، وابن سينا ، وألفّ على أثر ذلك كتابه « **مقاصد الفلاسفة** » ، الذي يدل على اطلاع واسع ، ومعرفة دقيقة بالفلسفة . وقد قال « الامام الغزالي » لتسويغ عمله هذا : إنه أراد الابتداء بشرح آراء الفلاسفة ، قبل الاقدام على نقدها ، وإبطالها . ولئن امتاز كتاب « مقاصد الفلاسفة » ببحثه العلمي والتزامه الحياد التام ، لقد أشارت جميع الدلائل إلى أن الغزالي لم يؤلف هذا الكتاب عن رغبة مجردة في العلم ، بل سعياً لطمأنة شكوكه الفكرية وتهدئة اضطرابه الباطني . والدليل على هذا أيضاً انه ألف بعد ذلك كتابه المشهور « **تهافت الفلاسفة** » لابداء شكوكه في قيمة العلم ، وبراهينه المنطقية ،

وقد بلغت شكوك الغزالي درجة جعلته يعتزل التدريس ، ويترك الاهل ، والولد ، والمال . ويخرج من بغداد في سنة (١٠٩٥) بعد إتمام **تهافت الفلاسفة** ، أو بعده بقليل . ولم يستقر رأيه على رفض ما ناله من جاه ، وتقدم ، وشهرة ، إلا بعد تردد طويل ومجاهدات نفسية عنيفة . إن مثله الاعلى كان أسمى من هذه الدنيا ، وقد عرف أنه يستطيع مكافحة رذائل الدنيا ، وإبطال علومها عن غير طريق العلم ، إلا أنه تيقن أنه يجب عليه سلوك طريقة أخرى ، ترتفع به فوق هذا العالم ، وينفذ بها إلى أعماق الحقيقة .

وقد أُصيب في هذه المدة بمرض شديد قطع عنه كل أمل في الحياة ، وانكشفت له أثناء ذلك مهمته الحقيقية ، فاخذ في تهذيب نفسه بالرياضة ، والتمارين الصوفية ، حتى يستطيع التأهب للمستقبل ، والقيام بمهمة الاصلاح الديني والاجتماعي والسياسي في العالم الاسلامي . وكم كان الاسلام في حاجة قصوى إلى قيام رجل كالغزالي ، يهيء نفسه للدفاع عن العقيدة الدينية ، في الوقت الذي كان فيه الفرسان الصليبيون في أوروبا يتأهبون للهجوم على بلاد المسلمين .

وكان الغزالي يعتقد اعتقاداً راسخاً أنه يستطيع إصلاح غيره بعد إصلاح نفسه ، وانه يقدر أن يكون من المجددين للدين ، الذين يقول الحديث فيهم : « إن الله يرسلهم على رأس كل مئة [١] » .

خرج الغزالي من بغداد قاصداً الحج إلى بيت الله الحرام ، فظل مدة عشر سنوات تائهاً ، يتنقل في زي الفقراء ، من دمشق إلى القدس ثم إلى مصر ثم إلى الاسكندرية ، وكان يقضي كل أوقاته في العبادة معتكفاً ، زاهداً ، يجاهد نفسه ، ويقهرها ، يجول في البلدان ويزور المساجد ، ويأوي إلى القفار ، وينزوي في المغارات ، ويتعرض لانواع المشاق والمحن ..

ثم انتهى الغزالي من هذه الرحلة ، بعد أن عزم على الدعوة إلى الإصلاح عن طريق العمل ، وقام يؤلف كتابه « **احياء علوم الدين** » ، ثم رجع إلى « نيسابور » ، فانقطع إلى الدرس ، والوعظ ، والعبادة ، ومات في موطنه طوس (سنة ٥٠٥ هـ — ١١١١ م) .

ونرى من ترجمة الغزالي كم كانت الصلة وثيقة بين حياته وتطوره الفكري ، فكما أن اضطرابه الباطني ، وشكوكه الفكرية ، قد دفعته إلى تغيير مجرى معيشته ، كذلك كان تأثير رحلته ، واعتكافه ، ورياضته ، عظيماً في توجيه أفكاره ، وتحديد طريقته ، وشوقه إلى الاصلاح العلمي في الدين ..

ويظهر أن الغزالي لم يترك الكتابة والتأليف ، حتى في فترة السنوات العشر ، التي قضاها في التنقل والعبادة .. وقد كتب في تلك المدة قسماً كبيراً من « إحياء علوم الدين » ، وكثيراً من كتبه الدينية ، وبلغت مؤلفاته عدداً ضخماً ، وتدور مباحثها كلها حول الفكرة الدينية ، التي شغلت حياته . وهذا ما يجعل لها ميزة نادرة ، وهي وحدة الموضوع ، ووضوح الفكرة الاساسية ،

---

(١) المنقذ : ص ١١٥

وقوة التعبير في الدفاع عن نظرياته . وفي الحقيقة لقد كان للغزالي أسلوب تتدفق منه الحياة ، بعيد عن الصناعة اللفظية ، غاية في الصراحة والوضوح . يشعر القارىء ، في كل جملة من كلامه ، بأن هناك قلباً يخفق ، وفكراً يجول ، وإرادة تملي . وقد استُلفِتَت أنظار الغزالي الى أغلاطه اللغوية ، وطلبت منه العناية بالفاظه وتراكيبه ، ولكنه أجاب أن قصده انما هو « المعاني وتحقيقها دون الالفاظ وتلفيقها » . ونحن نحمد الله على عدم اشتغال الغزالي بعلوم اللغة ، واهتمامه بصناعة الالفاظ ، فإنه لو اعتنى بهذه الناحية لما امتازت كتابته بهذه القوة والسلاسة في التعبير .

ولا نريد أن نحصي هنا جميع مؤلفات الغزالي ، بل نكتفي بذكر المهم منها ، الذي له علاقة بالفلسفة ، فنبدأ بكتاب « **المنقذ من الضلال** » الذي ألفه الغزالي في أواخر أيامه ، والذي لا تجد في الآداب العالمية إلا قليلاً من أمثاله من ناحية الموضوع . فهو يشرح لنا تطور الغزالي في التفكير ، والسعي وراء الحقيقة ، لا بل هو يترجم عن حياته الفكرية ، ويشرح لنا شكوكه ، ومباحثه في مختلف المذاهب ، قبل الوصول إلى رأي يطمئن اليه .

ثم كتاب « مقاصد الفلاسفة » ، و « تهافت الفلاسفة » ، و « معيار النظر » في المنطق ، ثم « ميزان العمل » في الاخلاق . وأهم مؤلفاته وأكبرها هو « إحياء علوم الدين » . الذي شرح فيه طرق النجاة للمسلمين ، ببيان حقيقة العقائد ، وتفصيل المعاملات ، والعبادات .

فلسفة الغزالي

ان التأثير العظيم الذي تركه الغزالي في التفكير الاسلامي ، يرجع في الدرجة الاولى الى أنه كان المفكر الاول ، والوحيد الذي لم يكتف ، مثل علماء الكلام ، باقتباس عدة مباحث متفرقة للفلاسفة ، ومحاولة نقض بعض آرائهم ، بل قام يسعى لتهديم كل البناء ، الذي انشأه الفلاسفة الاسلاميون على

أساس الفلسفة اليونانية ، فشرح لهذة الغاية جميع نظرياتهم من الوجهة العامة ، وحاول إظهار ضعف براهينها وفساد نتائجها ، مستنداً في كل ذلك إلى نظرية خاصة له في المعرفة ، تدل على دقة المشاهدة ، وعمق النظر ، وقوة التفكير .

فقيمة الغزالي الفلسفية تظهر في الناحية السلبية قبل غيرها ، أي في قوة نقده للنظريات الفلسفية . وهو في ذلك كثير الشبه بالفيلسوف الانكليزي « دافيد هيوم » (David Hume)

على أن عمل الغزالي لم يقف عند النقد والتهديم ، كما هو الحال عند معظم المشككين ، بل تعداهما الى تشييد صرح ديني وأخلاقي شامخ لا تُنكر مكانته في حضارة الاسلام الفكرية ، رغم أنه قائم على أُسس قديمة ، ورغم أن علاقته المباشرة بالفلسفة كانت محدودة جداً .

وقد نجح الغزالي بصورة خاصة في معالجة مسألة الخلاف بين الفلسفة والدين ، التي شغلت الافكار عصوراً طويلة ، فعرف كيف يحدد البحث في الموضوع ، واستطاع أن يتوصل الى حل لانزال حتى اليوم نعترف له فيه بالابداع ، والطرافة ، وقوة الحجة ، ونشعر بكثير من الاعجاب به ، بل والاطمئنان اليه .

ظلت مباحث الغزالي في بادىء الامر تتردد مدة طويلة بين الدين والفلسفة ، رغم أن الناحية الدينية كانت في الباطن أقوى عنده من الناحية العلمية ـ الفلسفية . ولم تتجاذبه الشكوك ، ويطول به البحث والتفكير ، الا لان فكره الثاقب ، وشعوره الحي ، وعاطفته القوية ، لم تطمئن إلى مذاهب المتكلمين ، وأدلتهم المصطنعة في اثبات حقيقة الدين .

ومع أن شكوك الغزالي لم تستمر الا فترة محدودة توصل بعدها الى معرفة اليقين ، فان هذه الشكوك تستحق كل الاهتمام من الوجهة الفلسفية ، لانها تدل على نظرة عميقة في نظام الكون وتطوره ، ولانها تتعلق بمسائل اساسية في الفلسفة ، لم ينتبه لها القدماء ...

فهو قد بحث في نظرية المعرفة ، ومعيار اليقين ، وتوصل بعد الشك الى

بيان حقيقة العلم ، بطريقة الحدس الباطني [١] وبأسلوب يذكرنا بأساطين الفلسفة الحديثة .

يفضل الغزالي على المتكلمين أو الصوفية أو الفلاسفة ، الذين اقتبس عنهم جميعاً ، بانه سعى لاعطاء كل شيء حقه . فهو لم يحاول ، مثل المتكلمين ، اخضاع العقل ومدركاته لعقائد الدين . ولم يعمل كالفلاسفة ، على حصر الايمان الديني ضمن قوانين العقل وأحكامه ، كما أنه لم ينصرف كالصوفيين ، الى ناحية الكشف ، والنظر الباطني ، مهملاً الى جانب ذلك العلوم العقلية والعبادات الدينية .

لاينكر الغزالي الحقائق العلميه ، سواء أكانت رياضية ام طبيعية ، بل يقول ان الحساب ، والهندسة ، والفلك ، والطبيعيات ، علوم حقيقية لاشك في صحة براهينها ، وفائدة استنتاجاتها .

ولكن للعلم حدوده المحصورة . ومن الخطل ان نبني العلم على الاعتقاد ، كما أنه لايجوز حصر الدين ضمن احكام العقل وبراهين المنطق . بل إن لكل من الناحيتين مصدراً خاصاً : العلم يستند الى العقل والدين ينبجس من القلب .

وقد رأى الغزالي ، لاثبات هذا الرأي ، أن يناقش الفلاسفة مناقشة عنيفة في مدّعياتهم ، وفي محاولاتهم اخضاع الدين للعقل . فاعترض عليهم في كتابه «تهافت الفلاسفة» ، في عشرين مسألة رآها مخالفة للدين ينبغي تكفيرهم في ثلاث منها وتبديعهم في الاخرى .

والمسائل الاساسية الثلاث التي كفّر الفلاسفة فيها هي :

١ . = قدم العالم وأزليته ؛

٢ . = اقتصار علم الله على الكليات دون الجزئيات ؛

٣ . = إنكار حشر الاجساد .

ان المسألة الثالثة لاقيمة كبيرة لها من الوجهة الفلسفية . ولكن المسألتين

---

(١) ص ٤٥ من هذا الكتاب .

الاولى والثانية قد اضطر تا الغزالي الى مناقشة كثير من النظريات العلمية والفلسفية ...

من المباحث الفلسفية التي تعرّض لها الغزالي مسألة المكان والزمان . فهو لا يريد أن يجعل فرقاً بينهما كما يفعل الفلاسفة : إذ يعتقدون أن العالم له نهاية ، وان المكان محدود ؛ بينما هم يقولون إن الزمان لا مبدأ له ولا نهاية . إزاء ذلك يلاحظ الغزالي انه لا فرق بين الزمان والمكان فيقول : « كما أن البعد المكاني تابعٌ للجسم ، فالبعد الزماني تابع للحركة ، فانه امتداد الحركة ، كما أن ذاك امتداد أقطار الجسم ... فلا فرق بين البعد الزماني الذي تنقسم العبارة عنه عند الإضافة إلى « قبلُ » و« بَعدُ » وبين البُعدِ المكاني الذي تنقسم العبارة عنه عند الاضافة الى «فَوق» و« تحت»[١] » .

ومعنى ذلك ان الزمان والمكان هما علاقة بين الاجسام ، أو بالاحرى هما علاقة بين تصوراتنا . ولذلك وجد بعضهم أن رأي الغزالي يقرب كثيراً من نظرية « كانت » التي تقول أيضاً : إن الزمان والمكان ليسا من المعاني الكلية بل هما صورتان قبليتان سابقتان للتجربة نستعين بهما على إدراك العالم الخارجي .

على أن أهم مسألة فلسفية تعرض لها الغزالي هي السببية . فهو يقول ؛ « إن الاقتران بين ما يُعتَقَدُ في العادة سبباً ، وما يُعتَقَد مسبباً ليس ضرورياً عندنا ؛ بل كل شيئين ليس هذا ذاك ، ولا ذاك هذا ، ولا إثبات احدهما متضمنٌ لاثبات الآخر ، ولا نفيه متضمن لنفي الآخر ، فليس على ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ، ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر ؛ مثل : الري ، والشرب ، والشبع ، والاكل ، والشفاء ، وشرب الدواء .. وهلم جرا إلى كل المشاهدات من المقترنات في الطب ، والنجوم ، والصناعات ، والحرف . وإن اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه لخلقها على التساوي ، لا لكونها ضرورياً في نفسه غير قابل للفرق ...»[٢] .

---

(١) تهافت الفلاسفة ص ٦٥ .
(٢) تهافت ص ٥٦

ثم يزيد ذلك شرحاً قائلًا : « وليس لهم من دليل إلا مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقاة النار ؛ والمشاهدة تدل على الحصول عنده ، ولاتدل على الحصول به ، وأنه لاعلة سواه »[١] ،

وخلاصة رأي الغزالي في ذلك : اننا نشاهد تعاقب حادثة بعد اخرى فنسمي الاولى منهما سبباً والثانية مسبباً . على ان مجرد اعتيادنا مشاهدة هذا التعاقب لايسمح لنا بان نجعل الحادثة الاولى علة لوجود الثانية — كما يقول قانون السببية. ولايمكن ان نستدل من تعاقب شيئين بانتظام في مشاهدتنا حتى الآن على ان ذلك يجب ان يكون دائماً لا يُتصورُ تغيره أبداً .

إن هذا معناه إنكار السببية في حوادث الطبيعة . وقد اجاب ابن رشد على ذلك قائلًا : « إن مَن رَفَعَ الاسباب فقد رفع العقل .. فرفعُ هذه الاشياء هو مبطل للعلم ورافع له .»[٢]

ولابن رشد كل الحق في هذا القول : فان جميع العلوم تستند الى قانون السببية .

ليس الغزالي المفكر الوحيد الذي حاول أن ينكر أن العقل يقضي ضرورة بوجود هذا القانون الذي تستند اليه جميع العلوم . وقد قام في القرن الثامن عشر « دافيد هيوم David Hume » ينتقد قانون السببية قائلًا مثل الغزالي ، انه لادليل عقلي لنا على ضرورة وجود علاقة بين السبب والمسبب ، وإنما اعتيادنا أن نرى المسبب يعقب السبب بانتظام في جميع مشاهداتنا جعلنا ندعي أن الاول علة وجود الثاني . وهذه المشاهدة لاتكفي لاثبات وجود علاقة ضرورية بينهما كما ينص قانون السببية العام .

ولكن رغم هذا الانتقاد ظل « هيوم » يعتقد ضرورة التمسك بقانون

---

(١) تهافت ص ٦٦ .
(٢) تهافت التهافت ص ١٢٣ .

السببية ، الذي لايمكن ان تقوم العلوم بدونه ، وهو لم يعترض إلا على إرجاع هذا القانون الى ضرورة العقل . وقال : « ان اعتمادنا على صحة قانون السببية إنما نشأ عن غريزة وعادة طبيعية في البشر ، تجعلنا نتيقن يقيناً باطنياً أن كل حوادث العالم لايمكن ان تخالف النظام الدائمي الثابت » .

وقد فطن الغزالي نفسه الى ان انكار السببية ينتهي بنا الى ارتكاب محالات شنيعة حتى يجوز عندنا انقلاب الكتاب حيواناً ، وجرة الماء شجرة تفاح وغير ذلك (١) .

فأجاب على ذلك قائلًا : « ان الله تعالى خلق لنا علماً بان هذه الممكنات لم يفعلها ؛ ولم ندع ان هذه الامور واجبة ، بل هي ممكنة يجوز ان تقع ، ويجوز أن لاتقع ، واستمرار العادة بها مرة بعد أخرى ترسخ في أذهاننا جريانها على وفق العادة الماضية ترسخاً لاتنفك عنه .. إنه لم ينبت من الشعير حنطة ولا من بذر الكمثرى تفاح .. ولكن من استقرأ عجائب العلوم لم يستبعد من قدرة الله مايحكى من معجزات الانبياء . » (٢)

وهنا نصل الى العامل الذي دفع الغزالي الى انكار الضرورة العقلية في قانون السببية . فهو إنما يريد أن يترك مجالا للمعجزات فلم ير بأساً في إخضاع العقل والعلم لعقيدته الدينية .

والحقيقة ، أن الدين هو الذي كان مسيطراً على تفكير الغزالي ، ولم تنشأ شكوكه في أحكام العقل إلا في سبيل الدفاع عن حقيقة الدين . وهو قد نجح في ارجاع أصل الدين الى الكشف الباطني ، والايمان القلبي ، ولكنه لم يستطع عند تحديد نطاق كل من الدين والعقل أن يقف عند الحد اللازم . فلم يتردد في اخضاع العقل للدين حينما اضطر لاثبات معجزات الانبياء ، بينما كان الفلاسفة

---

(١) تهافت ص ٦٧

(٢) تهافت ص ٦٧ — ٦٨

على العكس من ذلك ، يخضعون الدين للعقل ، اذا اعتقدوا تناقضاً بينهما . واليك رأي الفلاسفة المسلمين في المعجزات ، كما شرحه ابن رشد في الرد على الغزالي ، قال :

« .. فيكون تصديق النبي أن يأتي بالخارق ، وهو ممتنع عن الانسان ، ممكن في نفسه . وليس يحتاج في ذلك أن نضع أن الامور الممتنعة في العقل ممكنة في حق الانبياء . وإذا تأملت المعجزات التي صح وجودها ، وجدتها في هذا الجنس ؛ وأبينها في ذلك كتاب الله العزيز الذي لم يكن كونه خارقاً من طريق السماع ، كانقلاب العصا حية ، وإنما ثبت كونه معجزاً بطريق الحس ، والاعتبار لكل انسان وجد ، ويوجد الى يوم القيامة . وبهذا فاقت هذه المعجزة سائر المعجزات ، فليكتف بهذا من لم يقنع بالسكوت عن هذه المسألة ، وليعرف أن طريق الخواص في تصديق الانبياء طريق آخر ، قد نبه عليه « ابو حامد » في غير ما موضع ، وهو الفعل الصادر عن الصفة التي فيها سمي النبي نبياً ، الذي هو الاعلام بالغيوب ، ووضع الشرائع الموافقة للحق ، والمفيدة من الاعمال مافيه سعادة جميع الخلق .. »[١]

وقد حاول الغزالي أن يعلل المعجزات تعليلا طبيعياً فقال : « وكذلك احياء الميت ، وقلب العصا ثعباناً ممكن بهذا الطريق . وهو ان المادة قابلة لكل شيء : فالتراب ، وسائر العناصر يستحيل نباتاً ، ثم النبات يستحيل ، عند أكل الحيوان له ، دماً ، ثم الدم يستحيل منياً ، ثم المنى ينصب في الرحم فيخلق حيواناً وهذا بحكم العادة واقع في زمن متطاول . فلِمَ يحيل الخصم أن يكون في مقدورات الله تعالى أن يدير المادة في هذه الاطوار في وقت أقرب مما عهد فيه ؟ »[٢]

ولم يقبل وجدان ابن خلدون العلمي إلا أن يجيب على هذا السؤال في سياق الكلام على موضوع آخر فقال : ان الطبيعة لاتترك أقرب الطرق في افعالها

---

(١) تهافت التهافت ص ١

(٢) تهافت ص ٦٨

وترتكب الاعوص والابعد .» [١] ثم صرح في مكان آخر : « وهكذا كان حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم الى الله بالعشائر والعصائب ، وهم المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء ، لكنه إنما اجرى الامور على مستقر العادة . » [٢]

إن السببية الوحيدة التي يعترف بها الغزالي هي التي ترجع الى إرادة حرة واختيار تام ومعرفة شاملة ، وهي التي نستدل بها على حقيقة الاله . فان «المبدأ الاول ، أي الله ، عالم ، قادر ، مريد ، يفعل ما يشاء ، ويحكم مايريد ، ويخلق المختلفات والمتجانسات كما يريد ، وعلى مايريد . » [٣]

واذا تساءلنا عن الحجة التي نستند اليها في الاستدلال على وجود الاله ، وأردنا البحث في كيفية صدور الفعل من الله بالارادة ، أجابنا الغزالي أن هذا فضول وطمع في غير مطمع ، لأن « هذه الامور مما لاتتسع له القوى البشرية [٤] وفي الناس من يذهب الى أن حقائق الامور الالهية لاتنال بنظر العقل ، بل ليس في قوة البشر الاطلاع عليها . » [٥]

وإنما يعتقد الغزالي أن الكشف الباطني واليقين الشخصي والحدس مما يثبت لنا وجود الله ، لأن نفس الانسان قبس من نور الله . وقد اكتفى الغزالي باقتباس هذا النوع من المعرفة الوجدانية عن الصوفية ، ولم يوافق على مذاهبهم المختلفة في الحلول والاتحاد والوصول ، [٦] ولم يعترف بنظرية وحدة الوجود التي تجعل الطبيعة أيضاً جزءاً من القوة الالهية .

---

(١) ابن خلدون منتخبات ص ٤٦ (مكتب النشر العربي بدمشق)
(٢) ابن خلدون المقدمة ، فصل في ان الدعوة الدينية من غير عصبية لاتتم
(٣) تهافت، ص ٢٢
(٤) » » ٢٢
(٥) تهافت ص ٤٤
(٦) المنقذ ، ص ١٠٢

وكذلك يخالف الغزالي الفلاسفة الاسلاميين في قولهم إن الله لايعلم الانفسه وانه لايعلم الجزئيات المنقسمة بانقسام الزمن الى « الآن » والى « ما كان » و « مايكون » وانه لايمكن أن يكون خلق العالم من لاشيء فانهم يتصورون حوادث العالم عبارة عن تحول دائم في أعراض الجوهر وصوره أي المادة نفسها ، ثم انتقال من ممكن الى ممكن آخر .

لكن الغزالي يتساءل : ألا يحدث شيء جديد في العالم ؟ ألم تكن العقول ، التي يقسمها ابن سينا الى درجات مختلفة ، شيئاً جديداً مطلقاً ؟

حقاً ، ان الاسباب والمسببات لانهاية لها ولايستطيع الفكر الاحاطة بها.

ويجب الاعتراف أن نظام الصور والعقول الذي فصله ابن سينا لم يستطع المقاومة تجاه انتقادات الغزالي الصائبة .

قال الفلاسفة الاسلاميون إن حقيقة الاله هي العقل والعلم ، أما الارادة فانها تنشأ عن الحاجة ، ولذلك فهي نقص . ولكن الغزالي يرى أن وحدة الحقيقة الالهية انما تتمثل في الارادة قبل غيرها وهو يقول ، معارضاً الفلاسفة ، إن الله يعرف العالم ، لان إرادته هي التي اقتضت وجود هذا العالم .

ويمكن انتقاد الغزالي بأنه قد ضحى بفكرة حدوث العالم ، التي يريد إثباتها وبفكرة اختيار الانسان ، التي لايود التنازل عنها ، في سبيل انقاذ الارادة الالهية الأبدية .

تمتاز **أخلاق** الغزالي بعمق التحليل النفسي الذي يصف به الفضائل كفضيلة الصدق ، وفضيلة الصبر ، وفضيلة الاخلاص ، وواجب المرء نحو نفسه ، وواجبه نحو اخوانه في الدين ، وحقوق الجوار ، وحقوق الوالدين ، وحقوق المرأة والأبناء والاخوة ؛ وهي على الجملة تبحث في الفضائل الجزئية ، من غير ان ترتقي الى البحث في مبدأ الاخلاق ، وأساس الفضائل وغايتها . ان تحديد غاية العمل الانساني مسألة فلسفية لم يخصصها الغزالي ببحث منفرد ، لأن البرهان على مبدأ الاخلاق يقتضي الخروج على شرائط اليقين التي ذكرها في « معيار العلم » . نعم ،

ان الغزالي وضع للعمل ميزاناً « ترقى به عن حد التقليد الى حد الوضوح »[١] ولكنه لم يعقد للكلام على أساس هذا الميزان بحثاً خاصاً ، بل اقتصر على وزن الفضائل به من غير ان يبين ماهو . وهو يمتاز كما قلنا بتدقيقه في وزن هذه الفضائل وتحليلها تحليلا نفسياً صحيحاً . ولذلك كانت مباحثه في الاخلاق أقرب الى المباحث النفسية منها الى المباحث الفلسفية . ولعلنا اذا رجعنا الى تحليل هذه الفضائل استطعنا ان نستخرج ، على طريقة الاستقراء ، مبدأ الغزالي في ميزان العمل . فالغزالي يقول في كثير من المواضع ان الفضائل خاضعة لحاكم العقل ومقيدة بالشرع ، فقد جاء في ميزان العمل[٢]: « وأما الشجاعة فهي فضيلة للقوة الغضبية لكونها قوية ، ومع قوة الحمية منقادة للعقل المتأدب بالشرع في اقدامها واحجامها وهي وسط بين رذيلتيها المطيفتين بها وهما التهور والجبن » والعفة فضيلة القوة الشهوانية ، وهي وسط بين الشره والخمود ، فيكتنف إذن كل فضيلة رذيلتان هما الافراط والتفريط ، الا العدل فلايكتنفه الا رذيلة الجور المجاورة له ، لانه ليس بين الترتيب وعدم الترتيب وسط[٣]. فالفضيلة بالجملة وسط بين الافراط والتفريط ، والكمال في الاعتدال . ومعيار الاعتدال العقل والشرع[٤] وكل من اطلع على تحليل ارسطو للفضيلة ، وتحديدها بالاعتدال ، أدرك الصلة التي بين الغزالي وبينه . فالغزالي لم يقتصر في تحليل هذه الفضائل على الشرع بل استفاد من كتاب الأخلاق الى نيقوماخوس ، ولذلك تجده يجعل معيار الاعتدال العقل والشرع معاً . فالخير ليس ماقرره العقل وحده بل ماقرره العقل المتأدب بالشرع ، وهذا مايجعل الشرع فوق العقل ويذكرنا بمذهب اللاهوتيين أمثال

---

(١) ميزان العمل : ص ٢

(٢) ص ٨٥

(٣) ميزان العمل ص ٩١

(٤) ميزان العمل : ص ٨٨

(دون سكوت) و (آبه — لار) و (جرسون) وغيرهم من الذين جعلوا الخير تابعاً لارادة الخالق . فالخير ليس خيراً بالذات ، بل هو خير بارادة الله له .

فالغزالي إذن بعيد في الاخلاق عن رأي « المعتزلة » ومخالف للفلاسفة ولعله أقرب الى الصوفيه المعتدلة منه إلى رأي الفلاسفة الالهيين .

وقد قسم الفرق في ميزان العمل الى اربع وهي :

٠١ = فرقة المتبعين للانبياء ؛ ٠٢ = فرقة الالهيين الاسلاميين من الفلاسفة ٠٣ = فرقة الصوفية ؛ ٠٤ = فرقة الجماهير الحمقى الذين زعموا ان الموت عدم محض . وقرر ان الفرق الثلاث الاولى تتفق في القول ان الحماقة كل الحماقة في فتور الايمان . ان الممعن في اتباع الشهوات والمعرض عن النظر في المعقولات شقي في الدنيا ، وشقي في الآخرة فعلى العاقل ان يسلك سبيل السعادة . وليست السعادة مقصورة على الدنيا ، بل هي مما وصفه الشرع ، ووعد به النفوس الصالحة في الآخرة

فالسعادة في نظر الغزالي لاتنال الا بالعلم والعمل . ولكل منهما مقياس : فمعيار العلم يميز بين الصحيح والفاسد ، وميزان العمل يفرق بين العمل المسعد والعمل المشقي ، وطريق العمل المسعد هو في التجرد عن علائق الدنيا ، والترفع عن الشهوات ، ومخالفة الهوى والتفكير في الامور الالهية .

إن مذهب الغزالي في الاخلاق هو مذهب الصوفية المعتدلة ، لانه لايوافق القائلين بالاتحاد والحلول ، بل يقول ان اعلى درجات السعادة التي تحصل للانسان تقرب به الى الله تعالى تقريباً لا بالمكان والمسافة ، ولكن بالمعنى والحقيقة [١] . وقد اخذ من الفلاسفة مبادئهم في تحليل الفضائل ، وجعل السعادة في سلوكها ، ولكنه أضاف الى ذلك كله ذوقاً خاصاً في التحليل ، وتنويراً لاحكام العقل بتعاليم الشرع .

ان نظرية الغزالي الدينية لاتخلو من استدلالات فلسفية . وهو قد اقتبس شيئاً

---

(١) ميزان العمل : ص ٣٠

كثيراً من الفلاسفة ، سواء عن قصد او غير قصد . وهكذا اصبحت فكرة الاله عنده بعيدة جداً عن التجسيم . وكذلك تصور البعث والحياة الآخرة فهو عنده متصف بصفة روحانية محضة .

ونستطيع ان نلخص القول في فلسفة الغزالي بقولنا إنها صورة حية عن حياته الشخصية ، وانها بقدر ما اهملت البحث في حوادث هذا العالم ، كانت تزداد تعمقاً ونفوذاً في ماهية الدين . ولا شك في ان الغزالي قد ارتفع عن مستوى الفلاسفة الذين تمسكوا بالعقل ، واعتبروا الدين من منتوجات الخيال ، او اختراعات المتشرعين ..

على العكس من ذلك شرح لنا الغزالي العقيدة الدينية بانها كشف باطني وحقيقة روحية . ولا يمكن التردد في تفضيل محاولات الغزالي للوصول الى الحقيقة العليا على مباحث الفلاسفة الذين اقتصروا في الغالب على تكرار ما قيل قبلهم (١) .

تحليل المنقذ من الضلال

وصف لنا الغزالي في كتاب « المنقذ من الضلال » ماقاساه من الاضطراب النفسي عند مقابلة الفرق بعضها ببعض ، وما ارتضاه أخيراً من طريقة التصوف ثم ماصرفه عن نشر العلم ببغداد ، ومعاودته له بنيسابور ، كل ذلك باسلوب مؤثر تغلب فيه اللهجة الخطابية على الحجاج العقلي ، والبرهان المنطقي . وليس في « المنقذ من الضلال » مذهب فلسفي مستقل ، ولا نظرية مجردة ، بل هو حكاية حال الغزالي نفسه ، وذكر انحلال رابطة التقليد عنه ، واستيلاء الشك عليه ، ثم استشفاؤه بادوية التصوف .

---

(٢) راجع دي بور ، تاريخ الفلسفة في الاسلام ص ١٤٩–١٥٠
De Boer · Gesch . Philos .im Islâm

فالمنقذ لايحتوي اذن الا على القليل من فلسفة الغزالي. ومن اراد الاطلاع على هذه الفلسفة فليطلبها من كتاب « التهافت » وكتاب « المقاصد »، وكتابي الاحياء »، و « ميزان العمل » .

وضع الغزالي كتاب « المنقذ من الضلال » في اواخر ايامه بعد عزلة دامت عشر سنوات، سلك فيها طريقة الصوفية : وهو يشير فيه الى كتبه الاخرى كالتهافت، والقسطاس المستقيم، والمستظهري، والمقاصد، وفيصل التفرقة، وغيرها . وهذا يدل على أنه ألفه بعد هذه الكتب كلها، وبعد أن أناف العمر على الخمسين [١] فهو اذن من انتاج سن النضج، وهذا ظاهر أيضاً في اعتدال اسلوبه ووضوح اشاراته، وائتلاف معانيه، وتخير الفاظه .

١ — الشك

شاهد الغزالي اضطراب الفرق، واختلاف المذاهب، وتباين الملل في زمانه فشبه ذلك ببحر غرق فيه الاكثرون، فأحب ان يقتحم لجة هذا البحر العميق، ويخوض غمرته، ويتوغل في ظلماته، وكان ذلك بدافع طبيعي في نفسه. قال: « وقد كان التعطش الى درك حقائق الامور دأبي وديدني، من أول امري وريعان عمري، غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي، لا باختياري وحيلتي [٢] » . فولد هذا الفحص عن عقائد الفرق في نفس الغزالي شكا فلسفياً، يمازجه شيء من الايمان الصوفي، وكان اول الشك عنده انحلال رابطة التقليد، لانه لم يجد فيها علماً يقينياً، ولا وسيلة لتمييز الحق من الباطل، فقال في نفسه ان مطلوبي العلم بحقائق الامور، ولكن ماهي حقيقة

---

(١) المنقذ من الضلال ص — ٥٧

(١) » » » » ٥٨

العلم ؟[١] هل يمكن الوصول الى حقائق الامور من طريق التقليد ! ان التقليد لا يفيد علماً يقينياً ، واذا انحلت رابطته فلا مطمع في الرجوع اليه[٢] . فلا بد اذن من بيان حقيقة العلم اليقيني ما هي . ان معرفة حقيقة العلم هي من المسائل الاساسية في الفلسفة الحديثة ، لانها اساس نظرية **المعرفة** . والفلسفة تحوم حول مسألتين أساسيتين هما : قيمة العلم ، وقيمة العمل . فقد كانت مسألة قيمة العلم أساس المناقشات الفلسفية التي احتدمت بين « لايبنيز » و « لوك » و « بركلى » و « هيوم » و « كانت » ، ولا تزال اليوم من أمهات المسائل التي تريد الفلسفة الحديثة أن تجد لها حلاً .

نعم ان الغزالي لم يتعمق في البحث عن حقيقة العلم ، بل أسرع في تحليل العلم اليقيني ، وتحديد شرائطه فقال : « العلم اليقيني هو العلم الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بل الامان من الخطإ ينبغي أن يكون مقارناً لليقين مقارنة لو تحدى باظهار بطلانه من يقلب الحجر ذهباً ، والعصا ثعباناً ، لم يورث ذلك شكاً أو إنكاراً »[٣] وكل علم لا تتيقنه هذا النوع من اليقين ، فهو علم لا ثقة به ، ولا أمان معه . فمقياس اليقين إذن هو الامان ، ومعنى الامان الثقة ، ومقياس الثقة انكشاف المعلوم انكشافاً ، لا يبقى معه ريب ولا شبهة .

وكل من قرأ تأملات « ديكارت » ، ومقالته في الطريقة ، أدرك قيمة معيار العلم عند الغزالي ، واشتراطه في اليقين ، وضوح الافكار وانكشافها للعقل انكشافاً بديهياً .

ثم إن الغزالي فتش عن علومه فوجد نفسه عاطلاً من علم موصوف بهذه

---

(٢) المنقذ من الضلال ، ص ٥٩

(٣) المنقذ ص — ٦٤

(١) المنقذ ص — ٩

الصفة . لان العلم اما ان يكون بالمحسوسات ، وإما ان يكون بالعقليات ؛ فالعلم بالمحسوسات لاأمان فيه ، ولاثقة ، لانك « تنظر إلى الكوكب ، فتراه صغيراً في مقدار دينار ، ثم الادلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الارض في المقدار »[١] . وكذلك العلم بالعقليات لايقين فيه ولاثقة ، لانه يمكن ان تطرأ على الانسان حالة تكون نسبتها إلى العقل ، كنسبة اليقظة الى النوم . فكيف الثقة بالعقليات وبِمَ يأمن الانسان أن يكون كل مايعتقده بعقله من جنس ماأطلعه عليه حسه . فالعقل يكذب الاحساس ، والاحساس يكذب العقل ، كأن هناك مأساة محزنة تنتصر فيها العقليات على المحسوسات . قال الغزالي : « فقالت المحسوسات بِمَ تأمن ان تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات ، وقد كنت واثقاً بي فجاء حاكم العقل فكذبني ، ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي فلعل وراء إدراك العقل حاكماً آخر ، اذا تجلى كذب العقل في حكمه ، كما تجلى حاكم العقل فكذّب الحس في حكمه »[٢]

إن في هذا التحليل شيئاً من التوهم ، لأن المحسوسات والعقليات لم تمثل في نفس الغزالي هذه الأدوار المفجعة ، ومن الصعب تحديد مدة هذا الشك ، وتعيين حدوده ، وحصر عناصره في خطاب العقليات للمحسوسات على هذه الصورة البسيطة . على أن هذا النزاع بين العقليات والمحسوسات يدل على أسلوب الغزالي ، وطريقته الخطابية ، ومجادلته الكلامية . ولذلك كثيراً مانجده يحاول الاقناع بالمعقول والمسموع معاً ، فلا يُؤثِرُ في عقل القارىء فحسب ، بل يستعين على ذلك بشعوره وقلبه وحَدسه .

ولولا هذا الحدس ، لما خرج الغزالي من الشك ، ولبقي كما يقول على مذهب السفسطة . فالأدلة العقلية لم ترجع اليقين إلى قلبه ، لأن الدليل لا يكون إلا

---

(١) المنقذ ؛ ص ٦١

(٢) المنقذ : ص ٦١

من العلوم ، فإذا كانت العلوم غير مسلّم بها ، لم يكن الدليل منتجاً . فليس في المعرفة العقلية مايَطرُدُ الشك من النفس . قال الغزالي : « وعادت النفس الى الصحة والاعتدال . ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقاً بها على أمن ويقين ، ولم يك ذلك بنظم دليل وترتيب كلام ، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر ، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف . فمن ظن أن الكشف موقوف على الادلة المحررة ، فقد ضَيّق رحمة الله الواسعة[1] » . والمقصود من هذا النور كشفُ العقل بالحدس عن البديهيات ، والحقائق الاولى ، لان الأوليات العقلية لاتدرك بنَظم الكلام ، وترتيب الحجج ، بل تُدرك بالحدس ، وهي حاضرة في الذهن ، والحاضر ، كما يقول الغزالي ، إذا طُلبَ ، فُقدَ واختفى .

ان مسألة الكشف الباطني هي من أعمق المسائل التي وردت في « المنقذ من الضلال » ، ومن قرأ كتاب « التأملات » وطريقة « ديكارت » في الشك ، وانتقاله الى اليقين بالحدس الفكري ومعرفة الذات أدرك قيمة هذا النور الذي تكلم عنه الغزالي .

ان هذا الحدس مفتاح المعرفة ، ولولاه لما رجع اليقين الى العقل . نعم ، قد يكذب حاكم العقل حاكم الحس ، وقد يكون وراء حاكم العقل حاكم آخر يكذب حاكم العقل ، ولكن ما الذي يضمن لنا عدم وجود حاكم آخر فوق هذا الحاكم ؟ وهكذا يتسلسل الأمر الى مالانهاية له . فمن الضروري إذن أن نثق بالضرورة العقلية ونسلم بالأوليات .

على أن فكرة الحدس هذه لم تكن عند الغزالي قاعدة لمذهب خاصٍ ، بل اعتمد عليها لتحديد نطاق العقل ، وبيان عجزه عن حل جميع المعضلات . فالعقل لايمكن ان يكون مصدر العقيدة الدينية ، لأن الايمان يرجع الى الكشف الباطني . وبالرغم من أن الغزالي قد اقتبس فكرة الكشف هذه من طريقة

---

(١) المنقذ : ص ٦٣

الصوفية ، فإنه امتاز على غيره بجعلها مفتاح العلوم ، ومصدر العقائد الدينية .

وقد ترفع بها عن طريقة التقليد الى طريقة العقل ، وجعل الحق قائماً بنفسه لا بمن قاله . فالعاقل يجب أن ينظر في الامر ، فإذا وجده حقاً قبله ، سواء « كان قائله مبطلاً أو محقاً »[١] . وليس يجوز أن يهجر كل حق سبق له خاطر مبطلٍ ، لانه اذا جاز ذلك ، لزم هجر كثير من الحق ، « ولزمنا أن نهجر جملة من آيات القرآن ، وأخبار الرسول ، وحكايات السلف ، وكلمات حكماء الصوفية ، لان صاحب كتاب « اخوان الصفا » ، أوردها في كتابه »[٢] فعلى العاقل أن يعرف الحق بالرجال لا الرجال بالحق . والغزالي لا يشترط في الحق أن يكون معقولاً في نفسه ، مؤيداً بالبرهان فحسب ، بل يشترط أن يكون ايضاً موافقاً للكتاب والسنة ؛ ولذلك كان حدسه العقلي مقيداً بالعقيدة الدينية . والمعرفة عند الغزالي تنقسم الى قسمين : معرفة حسية ، ومعرفة صوفية ؛ فالعقل والتجربة هما أساس المعرفة الحدسية ؛ أما المعرفة الصوفية فتستند الى الكشف الباطني .

٢ — انتقاد الفرق

انحصرت الفرق عند الغزالي في أربع : فرقة المتكلمين ، والباطنية ، والفلاسفة ، والصوفية . وقد درس الغزالي هذا الفرق واحدة واحدة واستقصى ما عندها وانتقدها .

١ . — طالع علم الكلام فوجده غير وافٍ بمقصوده ، لان علماء الكلام اعتمدوا في الرد على أهل البدعة على مقدمات تسلموها من خصومهم ، واستندوا

---

(١) المنقذ : ص ٨٢

(٢) المنقذ : ص ٨٣

في مجادلاتهم الى النقل ، « وهـذا قليل النفـع في جنب من لا يسلم سوى الضروريات شيئاً » .[١]

٢ . — ثم طالع كتب الفلاسفة حتى وقف على منتهى عـلومهم ، فوجدهم ينقسمون على كثرة فرقهم الى ثلاثة أقسام : الدهريون ، والطبيعيون ، والإلهيون . وقد رد الإلهيون على الدهريين والطبيعيين ، ورد أرسطو على غيره من الإلهيين ، ولكنه استبقى من آرائهم أشياء كثيرة اتبعه فيها الفارابي وابن سينا ، فوقعا فيما وقع فيه الاوائل من البدع .

على أن علوم الفلاسفة تنقسم الى ثلاثة أقسام : منها مايجب التكفير به ، ومنها ما يجب التبديع به ، وقسم لايجب انكاره أصلاً . فالرياضيات مثلا لايمكن انكارها ، ولكن قد يتولد منها آفة اذا ظن مطالعها أن جميع عـلوم الفلاسفة هي في الوضوح ووثاقة البرهان كهذا العلم ، مع ان كلام الفلاسفة في الرياضيات برهاني ، وفي الإلهيات تخميني .

والمنطق أيضاً لا علاقة له بالدين حتى يُجحَد ويُنكر ، الا أن اهل المنطق ، عند الانتهاء الى المقاصد الدينية ، لم يمكنهم الوفاء بشروط البرهان ، بل تساهلوا فيها غاية التساهل ؛ وهذا ما يؤيد الفرق بين العلوم اليقينيـة والإلهيات ، التي كثرت فيها أغاليط الفلاسفة . وقد كفّرهم الغزالي كما ذكر في كتاب «التهافت» في ثلاث مسائل لمخالفتهم جميع المسلمين :

١ . — قولهم ان الاجساد لا تحشر ؛

٢ . — وان الله يعلم الكليات دون الجزئيات ؛

٣ . — وان العالم قديم أزلي .

أما الطبيعيات فقد ذكر الغزالي أنه ليس من شرط الدين انكارُها ، ولكن على الباحث في الطبيعيات ان يعلم ان « الطبيعة مسخرة لله تعـالى ، لا تعمل

---

(١) المنقذ ، ص ٦٧

بنفسها ، بل هي مستعملة من جملة فاطرها »[١] وهذا يتفق مع راي الغزالي في انكار الاسباب وقوله ان كلّ شيء حاصل بمشيئة الله .

٢ . ثم ان الغزالي انتقد طريقة التعليمية وبيّن غائلتها . وليس في المنقذ عن طريقة التعليمية شيء مهم ، لان الغزالي ألف كتباً كثيرة في الرد على هذه الفرقة ، ككتاب « المستظهري » ، وكتاب « القسطاس المستقيم »، وكتاب « حجة الحق » وغيرها[٢] وقد اعترض عليه بعضهم مبالغته في تقرير حجتهم ، وسعيه في نشر آرائهم ، فقال ان هذا الكلام حق ، ولكن « في شبهة لم تنتشر ولم تشتهر . أما اذا انتشرت فالجواب عنها واجب » . ولم يعمد الغزالي الى تقرير حجة التعليمية الا لان اصحاب التعليم اتهموا كل من يرد عليهم بالجهل ، فأراد الغزالي أن يبين لهم فهمه لحجتهم ، فقررها اولاً ثم رد عليها . وهذا مافعله ايضاً في الرد على الفلاسفة ، فقد صنف اولاً كتاب « المقاصد » ، وأوضح فيه حجة الفلاسفة وعلومهم . ثم صنف بعد ذلك كتاب « التهافت » للرد عليهم . وبالرغم من ان الغزالي لايريدأن يتكلف شبهة التعليمية ، ولا ان يضيع الوقت في الرد على اصحاب التعليم ، فانه خصص لها في كتاب « المنقذ » فصلاً طويلاً ، ذكر فيه بعض مسائلهم : كدعواهم الحاجة الى التعليم ، والى المعلم ، واعتراضهم على الحكم بالنص او بالاجتهاد . وقد ناقش كلا من هاتين المسألتين ، وبين ان هذه البدعة لم تصل الى هذه الدرجة الا من سوء نصرة الصديق الجاهل ، فقد دعت شدة التعصب أصدقاء الدين إلى مجاحدة التعليمية في كل مقدمات كلامهم . فجاحدوهم في الحاجة إلى التعليم والمعلم ، وفي دعواهم انه لايصلح كل معلم ، بل لابد من معلم معصوم ، وليس في الامكان إنكار ذلك . إنما الخلاف ليس في الحاجة إلى التعليم والمعلم ، ولا في أن يكون

---

(١) المنقذ : ص ٧٨

(٢) المنقذ:ص ٩٢-٩٣

المعلم معصوماً ، وانما هو في معرفة المعلم نفسه ، هل هو ميت أو حي ؟ فالتعليمية تقول إن المعلم علم الدعاة وبثهم في البلاد ، وهو ينتظر مراجعتهم ، إن اختلفوا ، وأشكل عليهم مشكل . والغزالي يقول إن معلمنا هو محمد ﷺ ، وإنه علم الدعاة وبثهم في البلاد ، ولكنه أكمل لهم التعليم ، « وبعد كمال التعليم لايضر موت المعلم ، كما لايضر غيبته . »[١]

أما مسألة الحكم بالنص أو بالاجتهاد ، فقد أجاب عنها الغزالي بقوله: « إننا نحكم بالنص عند وجوده ، وبالاجتهاد عند عدمه » . وقد أثبت الغزالي ضرورة الاجتهاد بقوله : إن النصوص المتناهية لاتستوعب الوقائع غير المتناهية ، فلابد من الاجتهاد في ارجاع الوقائع الخاصة إلى النصوص العامة . قال : فمن أشكلت عليه القبلة ، ليس له طريق إلا أن يصلي بالاجتهاد ، إذ لو سافر إلى بلدة الإمام لمعرفة القبلة ، لفات وقت الصلاة . » وهكذا شأن المستفتي في كل واقعة ، لانه إذا رجع إلى بلدة الامام ، تبدلت الوقائع ، وفات الانتفاع بالفتوى . فعلى العاقل ان يجتهد رأيه فيما وراء قواعد العقائد من التفصيل . اما قواعد العقائد نفسها ، فيشتمل عليها الكتاب والسنة ، ولاحاجة فيها إلى الاجتهاد . وقد صنف الغزالي كتاب « القسطاس المستقيم » ووضع ميزاناً يعرف به **الحق في** الكلاميات ، وظن انه يمكنه بواسطته ان يرفع الخلاف ويزيل التنازع . فاذا قيل ان هذا الميزان لايزيل الخلاف بل يضم إلى الشبه الموجودة شبهة جديدة ، قال الغزالي : إن المتحير ، إذا قال انا متحير ، ولم يعين المسألة التي هو فيها ، يقال له : انت كمريض ، يقول : انا مريض ، ولا يذكر عين مرضه ويطلب علاجه ، فيقال له : ليس في الوجود علاج للمرض المطلق ، بل لمرض معين »[٢] وكذلك المتحير ينبغي ان يعين ما هو متحير فيه ، فاذا عين الامر الذي تحير

---

(١) المنقذ : ص ٨٨

(٢) المنقذ : ص ٩٢

فيه ، امكن الرجوع به الى « القسطاس المستقيم » وإزالة شبهته وحيرته بميزان الحق . فالميزان يغني عن الامام المعصوم ، ويشفي من الحيرة .

اما طريقة التعليمية فليس معها شيء من الشفاء للخروج من ظلمات الآراء. وقد ضيعوا عمرهم في طلب المعلم . ولم يستطيعوا ان يتعلموا منه شيئاً .

٤ — ثم ان الغزالي لما فرغ من انتقاد هذه الفرق اقبل بهمته على طريق الصوفية ، فوجد اهلها احسن السالكين لطريق الله ، فاطمأن اليهم ، وطالع كتبهم ، وسمع اقوالهم ، حتى اطلع على غاياتهم ومقاصدهم . وكان حاصل علمهم كما قال في المنقذ : « قطع عقبات النفس ، والتنزه عن اخلاقها المذمومة ، وصفاتها الخبيثة ، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى »[١]

وأُعجب الغزالي بطريقة الصوفية اعجاباً لامزيد عليه ، حتى قال : فيهم : « لو جمع عقل العقلاء ، وحكم الحكماء ، وعلم الواقفين على اسرار الشرع من العلماء ، ليغيروا شيئاً من سيرهم واخلاقهم ، ويبدلوه بما هو خير منه ، لم يجدوا اليه سبيلاً[٢] » ولكن طريقة الصوفية لاتتم إلا بالعلم والعمل معاً ، وما يمكن الوصول اليه بالتعلم قليل إذا نسب الى ما يمكن الوصول اليه بالذوق ، والحال ، وتبدل الصفات . والفرق عظيم بين ان تعرف حقيقة الزهد وشروطه ، وبين ان يكون حالك الزهد . فالصوفية ارباب احوال ، لا اصحاب اقوال . ولذلك لما حصل الغزالي علوم الصوفية النظرية ، اقبل على سلوك احوالهم بالذوق ، والرياضة ، والاعراض عن الدنيا ، والهرب من علائق الحياة . ولكنه نظر الى نفسه ، فوجدها منغمسة في العلائق ، ولاحظ اعماله ، فوجدها غير نافعة في طريق الآخرة ، فرأى نفسه على شفا جرف هار . ثم اصابته ازمة نفسية ، تجاذبته فيها شهوات الدنيا ، ودواعي الآخرة ، حتى احس بعجزه ، فسقط

---

(١) المنقذ : ص — ٩٥

(٢) المنقذ : ص - ١٠١

اختياره ، وسهل عليه هجر اعماله . لقد وصف الغزالي هذه الازمة النفسية بلفظ بليغ ، ومعنى جزيل ، وبيان عجيب ؛ فهو لايتكلم بلسانه ، ولا يكتب بقلمه ، بل يخاطبك بقلبه ، وروحه ذائبة في الفاظه ، وشعوره مصون عن التكلف . لاتقرأ كلامه الا وتشعر بالحال النفسية التي اصابته . فالغزالي قد ذاق احوال الصوفية بعد ان حصل علومها ، ثم ارتقى الى درجة المكاشفات ، والمشاهدات ، ولكنه لم يبلغ الدرجة التي بلغها « الحلاج » من الاتحاد ، والفناء ، ولم يصف درجات السلوك ، والوصول ، كما وصفها « ابن سينا » في كتاب « الاشارات » .

إن آراء الغزالي في انتقاد الفرق تدل على قوة تحليله ، ومحكم قياسه ، وصادق برهانه ، وسعة احاطته بمذاهب زمانه ؛ ولكنها تدل في الوقت نفسه على الميزان الذي وزن به الحق ، وانتقد به الفلسفة ، وجعل العقل غير كاشف للغطاء عن جميع المعضلات . وهذا الميزان هو ميزان الكشف الباطني ، الذي تتجلى به العقائد الدينية ، ويحصل به الامان ، ويعود اليقين الى النفس ؛ ولذلك لم يتكلم الغزالي عن الفلسفة الا ليبطلها ، ولم يبحث عن العلوم الاخرى الا بالقياس الى الدين . فليس في « المنقذ من الضلال » شيء يدل على البحث المجرد ، والحقيقة النظرية ، لان الحقيقة ، بصورة عامة ، تابعة عنده للعقائد الدينية ، والعقل ليس مستقلاً بالاحاطة بجميع المطالب . وهكذا فان ثقة الغزالي بالعقل المحض قليلة ، وهو ليس اول من رد على الفلاسفة بل قد رد قبله عليهم ، وعلى « المعتزلة » ، كثيرون غيره .

ولكن ليس في المناقشات التي حصلت بين المتكلمين والمعتزلة ما يضاهي قوة الغزالي في الرد على الفلاسفة ، فظهرت حجته وضعف قول المنكرين ، ولم يقم في الشرق بعده من يستطيع أن يحيي علوم الفلسفة ، كما أحيا هو نفسه علوم الدين .

فالغزالي يطلب العلم عن طريق الاوليات العقلية ويجرده من سلطان التقليد

ثم يعود الى تقييده بسلطان الدين ، ويكفر الفلاسفة في علومهم ، لما قد يتولد منها من الآفات . فقد قال في زجر العامة عن الرياضيات : « يجب زجر كل من يخوض في تلك العلوم ، فانها ، وان لم تتعلق بأمر الدين ، لكن لما كانت من من مبادىء علومهم ، يسري اليه شرهم وشؤمهم ، فقلّ من يخوض فيه إلا وينخلع من الدين وينحل عن رأسه لجام التقوى »[١] .

وهكذا ذهب الغزالي الى ان وراء سلطان العقل طوراً آخر ، « تنفتح فيه عين أخرى ، يبصر بها الغيب ، وماسيكون في المستقبل ، وأموراً أخرى ، العقل معزول عنها »[٢] . واصوب الطرق في نظره طريقة الصوفية ، لان جميع حركاتهم ، وسكناتهم ، مقتبسة من نور مشكاة النبوة « وليس وراء نور النبوة على وجه الارض نور يستضاء به »[٣].

ان انتقاد الغزالي للفرق مبني على هذه الموضوعة الاساسية ، وهي ان العقل عاجز عن الاحاطة بجميع المسائل ، وان وراء طور العقل طوراً آخر اساسه الحدس الديني ، فقد قال في معرض البحث عن الفرق : « الحق لايعدو هذه الاصناف الاربعة ، فهؤلاء هم السالكون سبيل طلب الحق ، فإن شذ الحق عنهم ، فلا يبقى في درك الحق مطمع »[٤] . وهذا يدل على تحديد نطاق العقل وتضييق حدود المعرفة .

٣ — النبوة والاصلاح الديني

الانسان على الفطرة الاولى يجهل ما يحيط به من الموجودات ، ثم إنه يطلع عليها بواسطة الادراك ؛ وقد تنوعت الادراكات بحسب اجناس الموجودات : فقوة الحس تدرك عالم المحسوسات ، وقوة التمييز تدرك أموراً زائدة على الحس ،

(١) المنقذ : ص — ٧٥
(٢) المنقذ : ص — ١٠٦
(٣) المنقذ ص ، ١٠١
(٤) المنقذ : ص — ٦٤

والعقل يدرك الواجب والجائز والمحال . ووراء طور العقل قوة أخرى لادراك الغيب وما سيكون في المستقبل . فهناك اذن اربع مراتب للادراك : ادناها مدركات الحس واعلاها مدركات النبوة .

والبرهان على وجود مدركات النبوة وجود معارف عند الانسان لايمكن أن تتم له إلا بهذا النوع من الإدراك ، كالطب والنجوم ، « فان من يبحث عنها يعلم بالضرورة ، أنها لايدركان إلا بإلهام إلهي »[١] .

واذا نظرنا الى الانسان وجدنا معه نموذجاً من هذا الإدراك وهو النوم فالنائم يدرك ماسيكون من الغيب ويرى ويسمع ، وبصره وسمعه في حال غفلة فكما أن العقل طور ندرك به أنواعاً من المعقولات بعيدة عن الحس ، كذلك النبوة هي من طور آخر يظهر فيه نور الغيب ولا يدركه العقل .[٢] فالرؤيا ، كعلم الطب والنجوم ، تدل على ان في الانسان شيئاً من خواص النبوة ، وهي تقرب هذا الإدراك من العقل ، وماعدا ذلك فإنما يدرك بالذوق من سلوك طريق التصوف[٣] .

والنبي لايعرف الا باحواله ، وذلك اما بالمشاهدة ، أو بالتواتر والتسامع وكما أن الانسان اذا عرف الطب أمكنه أن يعرف الاطباء بمشاهدة أحوالهم ، فكذلك اذا فهم معنى النبوة ، ، امكنه أن يستدل بها على شخص معين انه نبي أم لا ، وذلك بمشاهدة احواله وتجربة ماقاله في الف أو الفين وآلاف من الأحوال ، حتى يحصل اليقين القوى والايمان العلمي .

ولما كان الانسان قد خلق من نفس وجسد ، فان البدن له صحة باسعادته والقلب له صحة بها سلامته . الا ان ادوية العبادات لايدرك تأثيرها ببضاعة

---

(١) المنقذ : ص — ١٠٧

(٢) » » — ١٠٦ راجع ايضاً ابن خلدون منتخبات صليبا وعياد .

(٣) المنقذ : ص — ١٠٧

العقل، بل يجب فيها تقليد الانبياء «فالانبياء اطباء أمراض القلوب»[١] والعبادات أدوية مختلفة في النوع والمقدار الا أن الخلق قد أعمت الاهواء قلوبهم، فلم يدركوا حقيقة النبوة، بل شاع بينهم فتور الاعتقاد، فبحث الغزالي عن اسباب فتور الخلق وضعف ايمانهم فوجدها اربعة: ١ — الفلسفة ٢ — التصوف ٣ — التعليم ٤ — الموسمون بالعلم فيما بين الناس. فندّد هذه الاسباب واحداً واحداً باسلوب يشبه اسلوب «باسكال» في رده على الهراطقة[٢]، وأنحى باللائمة على الفلاسفة الذين يسرون غير مايعلنون، فيخالفون الشريعة بقلوبهم، ويعظمونها بلسانهم وقد عظم خطر اعداء الدين واستفحل امرهم، حتى صار لايمكن ملازمة العزلة وتركهم يخدعون الناس باقاويلهم. ووجد الغزالي ان فضحهم ايسر عنده من شربة ماء، فكيف يلازم العزلة «وقد عم الداء ومرض الاطباء»، وقد وعد الله باحياء دينه على رأس كل مئة! فتحركت في نفسه عوامل الرجوع إلى نشر العلم، وأصابته أزمة نفسية ثانية أخرجته من عزلته، فسافر إلى نيسابور، وانصرف إلى إصلاح نفسه وإصلاح غيره، كأنه رسول بعث لاحياء الدين، فعالج الباطنية بـ «القسطاس المستقيم»، ومرض الاباحة بـ «كيمياء السعادة»، وعالج الذين فسد إيمانهم بالفلسفة حتى أنكروا النبوة بأن أثبت لهم إمكانها ووجودها.

* * *

هذا مااشتمل عليه كتاب المنقذ من الضلال من شك ونقد والهام ويقين. فهو قصة حياة فكرية مضطربة، وصورة نفس مفعمة بالايمان ميالة الى الحق،

---

(١) المنقذ: ص — ١١١

(٢) » » — ١١٢ راجع ايضاً: Pascal: Pensées

باحثة عن اليقين ، لابل هو قصة الم نفسي ونزاع عميق بين العقل والالهام ، كتبه الغزالي باسلوب سهل عليه طابع الصدق والامانة والبساطة والنقاء حتى جاء أوحد نوعه في الثقافة الاسلامية وقليل الشبيه في الادب العالمي باسلوبه ومنحاه ووحدة غرضه واستقامة منهجه .

* * *

آثار الغزالي

١ . — المطبوع:

التصوف

١ . — آداب الصوفية : طبع في مصر .

٢ . — الادب في الدين : طبع ضمن مجموع في القاهرة ١٣٤٣ .

٣ . — الاربعين في اصول الدين : وهو القسم الثالث من جواهر القرآن طبع في مكة ١٣٠٢ .

٤ . — الإملاء عن اشكال الإحياء : رد به اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الإحياء . طبع بهامش « إتحاف السادة المتقين » للزبيدي المرتضى كما طبع في فاس ١٣٠٢

٥ . — إحياء علوم الدين : وهو من أجلّ كتب المواعظ وأعظمها طبع في مصر غير مرة ، وفي لكناو ١٢٨١ ، وبه حواش وتقييدات ؛ ومنه نسخ خطية في مكاتب فينا وبرلين وليدن والمتحف البريطاني وأوكسفورد ؛ وعليه شروح عديدة منها : « إتحاف السادة المتقين » طبع في فاس ١٣٠٢ هـ في ١٣ مجلداً ، وفي القاهرة ١٣١١ في عشرة مجلدات . ومنها : « منهاج القاصدين » لابن الجوزي ، ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وأخرى في مكتبة باريس . ومنها : « روح الإحياء » لابن يونس ، ومنه نسخة في مكتبة أوكسفورد .

وقد اختصره السيد جمال الدين القاسمي الدمشقي وسماه « موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين » طبع ثلاث مرات في القاهرة .

٦ . = أيها الولد : كتبه لبعض أصدقائه نصحاً له ، وذكر نصائح ووصايا في الزهد والترغيب والترهيب طبع مع ترجمة ألمانية في فيينا ١٨٣٨ و ١٨٤٢ باعتناء « هامر برغستال » كما طبع في مصر وكذلك في بيروت سنة ١٩٥١ مع ترجمة فرنسية للدكتور صباغ وترجمة انكليزية لجورج شيرر وترجمة اسبانية لاسطفان لاتور (اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية) ومنه نسخ خطية متفرقة في مكاتب أوروبا وفي دار الكتب المصرية .

٧ . = بداية الهداية وتهذيب النفوس بالآداب الشرعية : طبع في القاهرة عدة مرات . ومنه نسخ خطية في برلين وغوطا ومونشن وباريس ولندره وأوكسفورد والجزائر ولينغراد . وله مختصر أيضاً . وقد شرحه الشيخ محمد نووي الجاوي بكتابه المسمى « مراقي العبودية »

٨ . = جواهر القرآن ودرره : طبع في مكة وبمبي ومصر ، ومنه نسخة في ليدن والمتحف البريطاني ولينغراد ودار الكتب المصرية .

٩ . = الحكمة في مخلوقات الله : طبع غير مرة في مصر . ومنه مخطوط في باريز رقم ٢٣١٠

١٠ . = خلاصة التصانيف : ألفه باللغة الفارسية . وترجمه محمد أمين الكردي المتوفى سنة ١٣٣٢ ، طبع في مصر ١٣٢٧

١١ . = الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة : طبع في جنيف ١٨٧٣ م بعناية (غوتييه) وفي القاهرة غير مرة ، وفي ليبسيك ١٩٢٥ م

١٢ . = الرسالة اللدنية : طبعت مع رسالة « كنه ما لابد منه للمريد » لابن عربي . وطبعت ايضاً مع رسائل اخرى في الجواهر الغوالي من رسائل الامام حجة الاسلام الغزالي القاهرة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤م) .

١٣ . = الرسالة الوعظية : طبعت ضمن مجموع في القاهرة ١٣٤٣

١٤ . = فاتحة العلوم : وهو مشتمل على فصلين ، ومنه نسخة في مكتبة برلين وأخرى في مكتبة باريس طبع في مصر ١٣٢٢

١٥ . = القواعد العشر : طبع في مصر غير مرة .

١٦ . = الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين : طبع بهامش « تنبيه المغترين » للشعراني

١٧ . = المرشد الامين إلى موعظة المؤمنين (من إحياء علوم الدين) لخص فيه الاحياء ، طبع بمصر ١٣٤١

١٨ . = مشكاة الانوار : فيه بحث عن الفلسفة اليونانية من حيث التصوف ، طبع في مصر ضمن مجموع عام ١٣٤٣ ؛ ومنه نسخ خطية في دار الكتب المصرية ، وسائر المكاتب الدولية في أوروبا وله ترجمة عبرانية .

١٩ . = مكاشفة القلوب المقرب الى حضرة علام الغيوب : مختصر من المكاشفة الكبرى للغزالي ، اختصار بعض الافاضل ، طبع في مصر غير مرة .

٢٠ . — منهاج العابدين إلى الجنة قيل انه آخر تآليفه ، طبع في مصر غير مرة . وعلى هامشه كتاب « بداية الهداية » ، ومنه نسخة خطية في برلين وباريس وليدن والمتحف البريطاني والجزائر ، وله تلخيص ينسب الى « بلاطونسي » من اهل القرن التاسع الهجري . وهذا له شرح ترجم إلى التركية . قال ابن عربي في محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار ص ١٥٩ ان هذا الكتاب منحول وانه لابي الحسن على المسفر السبتي . انظر رقم ٥ من الكتب المنحولة .

٢١ . — ميزان العمل : مختصر في علم النفس وطلب السعادة التي لا تنال إلا بالعلم والعمل ، وبيان شرف الفعل والعلم والتعليم . طبع في ليبسيك ١٨٣٩ وفي مصر ١٣٢٨ . كما ترجمه الدكتور حكمة هاشم الى اللغة الفرنسية بعنوان Critère de l'Action باريز ١٩٤٥ .

٢٢ . = معراج السالكين ، طبع في مصر في مجموعة اسمها فرائد اللآلىء من رسائل الغزالي مع منهاج العارفين وروضة الطالبين ومنه نسخة خطية في مكتبة باريز رقم ١٣٣١ .

العقائد

٢٣ . = الاجوبة الغزالية في المسائل الاخروية : راجع المضنون به على غير أهله .

٢٤ . = الاقتصاد في الاعتقاد : طبع في مصر غير مرة .

٠٢٥ = إلجام العوام عن علم الكلام : طبع في مصر غير مرة ، وفي الهند ، ومنه نسخ خطية في مكاتب اوروبا .

٠٢٦ = الرسالة القدسية في قواعد العقائد : طبع في الاسكندرية (دون تاريخ)

٠٢٧ = عقيدة أهل السنة : طبع في الاسكندرية (دون تاريخ) ومنه نسخ خطية في برلين وأوكسفورد ولندره .

٠٢٨ = فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية : ويسمى المستظهري ؛ نشر منه « كولد تسيهر » قسما كبيراً وقدم له مقدمة وبحث فيه بحثاً طويلا باللغة الالمانية ، طبع في ليدن ١٩١٦ مع المتن العربي وقد رأيت منه نسخة خطية ، كاملة في مكتبة احمد عبيد بدمشق .

٠٢٩ = فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة : طبع في مصر ١٣٤٣ ضمن مجموع . ومنه نسخ خطية في برلين والقاهرة .

٠٣٠ = القسطاس المستقيم : طبع في مصر غير مرة ، ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية ونسخة في برلين وأخرى في الاسكوريال

٠٣١ = كيمياء السعادة : طبع غير مرة في مصر ، ومنه نسخة فارسية في مكتبة برلين ، واجزاء متفرقة في سائر المكاتب ، فضلًا عن النسخة العربية .

٠ . المستظهري : راجع فضائح الباطنية .

٣٢ . = المضنون به على غير اهله ويسمّى الاجوبة الغزالية . طبع في مصر غير مرة وفي الهند . انظر رقم ٥ من الكتب المنحولة .

٠٣٣ = المقصد الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى : طبع في مصر ١٣٢٤ هـ .

٣٤ . = قواعد العقائد ، مطبوع ذكره السبكي في سياق رؤيا أوردها في طبقات الشافعية ، وهو كتاب قواعد العقائد المذكور في الجزء الاول من الاحياء .

الفقه والاصول

٠٣٨ = أسرار الحج : في الفقه الشافعي ، طبع في مصر (دون تاريخ)

٠٣٦ = المستصفى في علم الاصول طبع في القاهرة غير مرة ، ومنه نسخ خطية في دار الكتب المصرية ، وفي مكتبة غوطا .

٣٧ = الوجيز في الفروع : أخذه من البسيط والوسيط ، وزاد فيه اموراً وهو كتاب جليل في المذهب الشافعي (مطبعة شركة الكتب ١٣١٨ ج٢) ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وله شروح عديدة لم تطبع .

الفلسفة والمنطق

٠٣٨ = تهافت الفلاسفة : طبع في مصر غير مرة ، وفي بمبيء (الهند) ١٣٠٤ ، رد فيه على الفلاسفة وقد ترجم الى العبرانية واللاتينية وطبع في بيروت طبعة نقدية اصدرها الاب اليسوعي بويج سنة ١٩٢٧ .

٠٣٩ = رسالة الطير : طبع ضمن مجموع في القاهرة ١٣٤٣ هـ

٠٤٠ = محك النظر في المنطق : طبع في مصر (دون تاريخ)

٠٤١ = مشكاة الانوار : طبع في مصر ضمن مجموع ١٣٤٣ انظر رقم ١٨

٠٤٢ = معارج القدس في مدارج معرفة النفس : طبع في القاهرة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية ٦٣٠ فلسفة كتبت في سنة ١٢٠٥ ، راجع فهرس المخطوطات المصورة لجامعة الدول العربية ، رقم ٣٥٣ فلسفة ص ٢٣٥ .

٠٤٣ = معيار العلم في المنطق : طبع في مصر ١٣٢٩

٠٤٤ = مقاصد الفلاسفة : في المنطق والحكمة الإلهية والحكمة الطبيعية ، طبع في ليدن ١٨٨٨ م مع شروح ، وفي القاهرة غير مرة ، وله ترجمة لاتينية طبعت في البندقية ١٥٠٦ م

٠٤٥ = المنقذ من الضلال : (وهو هذا الكتاب) منه نسخ خطية في مكاتب برلين وليدن وباريس والاسكوريال ودار الكتب المصرية وتكلم عنه مطولاً « شمولدرز » في كتابه عن المدارس الفلسفية عند العرب المطبوع ١٨٤٢ م بالفرنسية

٢ — المخطوط

التصوف

٠٤٦ = جامع الحقائق بتجربة

العلائق : منه نسخة خطية في مكتبة أوبسال .

٠٤٧ = زهد الفاتح : منه نسخة خطية في المتحف البريطاني

٠٤٨ = مدخل السلوك الى منازل الملوك : بحث في حياة الصوفي ومنه نسخة في الاسكوريال

٠٤٩ = معراج السالكين، منه نسخة في مكتبة باريز

٠٥٠ = نور الشمعة في بيان ظهر الجمعة : منه نسخة خطية في ليدن .

الفقه والاصول

٠٥١ — البسيط في الفروع على نهاية المطلب لامام الحرمين : منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال واخرى في دار الكتب المصرية

٠٥٢ = غاية الغور في مسائل الدور : منه نسخة خطية في مكتبة المتحف البريطاني .

٠٥٣ = المنخول في الاصول : منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية .

٠٥٤ = الوسيط المحيط باقطار البسيط : منه نسخ خطية في مكتبتي مونشن وأوكسفورد ودار الكتب المصرية .

الفلسفة

٠٥٥ — حقائق العلوم لاهل الفهوم : منه نسخة في مكتبة باريس. وقد ذكر الدكتور حكمت هاشم في حاشيته على هذا الثبت ان هذه الرسالة هي الرسالة اللدنية المطبوعة في القاهرة ضمن مجموع الجواهر الغوالي من رسائل الامام الغزالي .

٠٥٦ = المعارف العقلية والحكمة الإلهية : منه نسخ في مكتبات باريس وأوكسفورد وامبروزياتا . حققه الدكتور حكمة هاشم وهو الآن في سبيل نشره

٠٥٧ = فضائل القرآن : منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية

٠٣ — المفقودة

أ

٠٥٨ = آداب الكسب والمعاش

٠٥٩ = الاجوبة المسكتة عن الاسئلة المبهتة

٠٦٠ = أخلاق الابرار والنجاة من الاشرار

٠٦١ = إرشاد العباد
٠٦٢ = أرواح الاشباح
٠٦٣ = أساس القياس
٠٦٤ = الاسئلة والاجوبة
٠٦٥ = أسرار الانوار الالهية في الآيات المتلوة القرآنية
٠٦٦ = اسرار اتباع السنة
٠٦٧ = أسرار حروف الكلمات
٠٦٨ = أسرار المعاملات
٠٦٩ = الاشارة المعنوية الى الاسرار الحرفية
٠٧٠ = إشراق المأخذ
٠٧١ = الامتثال لمشيئة الله تعالى والعصيان لها
٠٧٢ = الانتصار على الامام الزناتي .
٠٧٣ = الانتصار لما في الاجناس من الاسرار
٠٧٤ = الانيس في الوحدة
٠٧٥ = إيضاح التعريف في فضل العلم الشريف

ب

٠٧٦ = بدائع الصنيع
٠٧٧ = البدور في اخبار البعث والنشور
٠٧٨ = بيان القولين للشافعي

ت

٠٧٩ = التأويلات
٠٨٠ = التجريد في التوحيد
٠٨١ = تحصن المآخذ
٠٨٢ = تحصين الادلة
٠٨٣ = تحفة الملوك
٠٨٤ = تدليس إبليس
٠٨٥ = تعليقة في الفروع
٠٨٦ = تفسير الآية التاسعة والعشرين من سورة يونس
٠٨٧ = تفسير القرآن
٠٨٨ = تقسيم الاوقات والادوار
٠٨٩ = تنبيه الغافلين
٠٩٠ = التوحيد وإثبات الصفات

ج

٠٩١ = الجداول المرقوم بالدرج (ذكره في المنقذ) أنظر ١٠٩
٠٩٢ = جنة الاسماء
٠٩٣ = الجوابات المرقومة
٠٩٤ = الجواهر والدرر في التصوف

ح

٠٩٥ = حجة الحق (ذكره في المنقذ)

٠٩٦ = الحدود

٠٩٧ = الحصن والحصين

٠٩٨ = حصن المأخذ

٠٩٩ = الحقائق في الدر الفائق

١٠٠ = حقوق أخوة الاسلام

١٠١ = حقيقة الروح

١٠٢ = حقيقة القولين

١٠٣ = حل الرموز

خ

١٠٤ = الخاتم في الطلاسم

١٠٥ = الخلاصة في الفقه

١٠٦ = خلاصة الوسائل الى علم المسائل (لخص فيه مختصر المزني وزاد عليه بعض مسائل)

١٠٧ = خواص الحروف

١٠٨ = خواص القرآن

د

١٠٩ = الدرج المرقوم بالجداول انظر ٩١

١١٠ = الدر المنظوم في السر المكتوم (ويعرف بخاتم الغزالي وبوفق زحل)

١١١ = دقائق الاخبار

ذ

١١٢ = ذكر العالمين

١١٣ = الذهب الإبريز في خواص الكتاب العزيز

ر

١١٤ = الرد الجميل على من غير الإنجيل انظر رقم ١٧٧

١١٥ = الرد على من طغى

١١٦ = رسالة آداب الصلاة

١١٧ = « الاقطاب

١١٨ = « التوحيد

١١٩ = رسالة الجبر المتوسط

١٢٠ = « الذكر

١٢١ = « العشق

١٢٢ — الرسالة الغزالية في اللغة

١٢٣ = رسالة في فتوح القرآن (رسالة الفها الى ابي الفتح الدميمي)

١٢٤ = رسالة في آفات المال وفوائده

١٢٥ = رسالة في الاحرف

١٢٦ . = « في الثبات على الصراط

١٢٧ . = « في الحدود

١٢٨ . = « في حقيقة الدنيا

١٢٩ . = « في حماقة أهل الاباحة . موجودة في الفارسية طبعها ودرسها (اوتوبرتزل) سنة ١٩٣٣

١٣٠ . = « في رجوع أسماء الله تعالى إلى ذات واحدة على رأي الفلاسفة والمعتزلة

١٣١ . = رسالة في الفرق بين النطق والكلام

١٣٢ . = « في فضل القرآن وتلاوته

١٣٣ . = « في قوله « ص » « أفضل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً »

١٣٤ . = « في معرفة الله تعالى

١٣٥ . = « فيما يجب على كل مسلم

١٣٦ . = « في معنى الرياضة

١٣٧ . = « في الموت

ز

١٣٨ . = زاد الآخرة

١٣٩ . = الزهد الفاتح

س

١٤٠ . = سير الملوك (فارسي)

١٤١ . = السر المصون في العلم المكنون

ش

١٤٢ . = شجرة اليقين

١٤٣ . = شرح الارشاد

١٤٤ . = شرح الصدر

١٤٥ . = شرح نخبة الاسماء

١٤٦ . = شفاء الغليل في بيان مسائل التعليل (في اصول الفقه)

١٤٧ . = شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والانجيل من التحريف والتبديل

ع

١٤٨ . = كتاب العلق

١٤٩ . = « العلم

١٥٠ . = عجائب صنع الله .

١٥١ . = عدة العباد ليوم المعاد

١٥٢ . = العقيدة (المعروفة بعقيدة الغزالي)

١٥٣ . = عقيدة الصباح

١٥٤ . = عنقود المختصر

١٥٥ ٠ = العنوان

١٥٦ ٠ = عين العلم

غ

١٥٧ ٠ = غاية العلوم واسرارها

١٥٨ ٠ = الغاية القصوى في فروع الشافعية

١٥٩ ٠ = غاية الوصول في علم الاصول

١٦٠ ٠ = الغاية والنهاية (وهو مجموع قصائد في مدح الرسول «ص»)

١٦١ ٠ = الغور في الدور (صنفه بعد غاية الغور ، رجع فيه عن قوله السابق). أنظر ٥٢

ف

١٦٢ ٠ = الفتاوى مشتملة على ١٩٠ مسألة غير مرتبة)

١٦٣ ٠ = الفتوح الرباني في نفخ الروح الانساني

١٦٤ ٠ = فرزندنامه (فارسي)

١٦٥ ٠ = الفرق بين الصالح وغير الصالح

١٦٦ ٠ = فضائح الاباحية

١٦٧ ٠ = فضائل القرآن

١٦٨ ٠ = فضائل الانام (فارسي)

١٦٩ ٠ = الفكرة والعبرة

١٧٠ ٠ = الفكرة والزهد

١٧١ ٠ = الفوائد المتفرقة

١٧٢ ٠ = فواتح السور

١٧٣ ٠ = الفوز في الكيمياء

ق

١٧٤ ٠ = قانون الرسول

١٧٥ ٠ = القانون الكلي

١٧٦ ٠ = القربة الى الله عز وجل

١٧٧ ٠ = القول الجميل في الرد على من غير الانجيل انظر ١١٤

ك

١٧٨ ٠ = الكافي في العقد الصافي

١٧٩ ٠ = كشف الاسرار في فضائل الاعمال

١٨٠ ٠ = كلمات تقرير على المقامات (فارسي)

١٨١ ٠ = كنز العدة

١٨٢ ٠ = كنز القوم والسر المكتوم

ل

١٨٣ ٠ = اللباب في التصوف

م

١٨٤ . = المأخذ في الخلاف بين الحنفية

١٨٥ . = مالا بد منه (في الطهارة والصلاة والصوم)

١٨٦ . = المبادىء والغايات في أسرار الحروف

١٨٧ . = المبادىء والغايات في قتل المسلم بالذمي

١٨٨ . = مذهب أهل السلف

١٨٩ . = مراقي الزلفى

١٩٠ . = مرشد الطالبين

١٩١ . = المسائل البغدادية

١٩٢ . — مسلم السلاطين

١٩٣ . = المصالح والمفاسد

١٩٤ . = المصباح في العقائد

١٩٥ . = مصطفيات الانوار

١٩٦ . = معتاد العلم

١٩٧ . = المعتقد

١٩٨ . = المعراج

١٩٩ . = معيار النظر

٢٠٠ . = مغاليط المغرورين

٢٠١ . = مفصل الخلاف

٢٠٢ . = المقاصد

٢٠٣ . = مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والامراء

٢٠٤ . = مقصد الخلاف في علم الكلام

٢٠٥ . = المكاتبات

٢٠٦ . = المكنونات

٢٠٧ . — المكنون في الاصول

٢٠٨ . = المنادي والصامت

٢٠٩ . = المنازل السائرة

٢١٠ . = مناهج العارفين لعله منهاج العارفين المطبوع في فرائد اللآلي من رسائل الغزالي مع معراج السالكين وروضة الطالبين ، القاهرة ١٣٤٤ .

٢١١ . = المنتحل في علم الجدل

٢١٢ . — منشأ الرسالة في أحكام الزيغ والضلالة

٢١٣ . = منهاج الرشاد

٢١٤ . = منهاج القاصدين

٢١٥ . = منهاج المتعلم

٢١٦ . = المنهج الأعلى

٢١٧ . = المواعظ في الاحاديث القدسية

٢١٨ . = مواهم الباطنية

ن

٢١٩. = نصائح الملوك (فارسي)
هو عين رسالة الغزالي الى ملكشاه في العقائد انظر رقم ١ من الكتب المنحولة

٢٢٠ = نصيحة الملوك

٢٢١. = نعمة الفقير

٢٢٢. = نهاية الاقدام في الفقه

٢٢٣ . = النية والاخلاص

و

٢٢٤ . = الوسائل في الفروع

٢٢٥ . = الوظائف في بيان العلوم

ه

٢٢٦ . — هشت فائدة انز جاتم أصم (فارسي)

ي

٢٢٧. = ياقوت التأويل في تفسير التنزيل (وهو تفسير القرآن في أربعين مجلداً)

٢٢٨ . = يواقيت العلوم (فارسي)

تنبيه . — استقينا هذه الجريدة من المصادر التالية : بروكلمان (G. A. Sup. (L. I. 744 ويرد الى الجزء الاول ٤٢١ ، طبقات السبكي ، طبقات الشافعية للحزامي ، عقود الجوهر فيمن له خمسون مصنفاً فمئة فاكثر لجميل العظم ، معجم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس ، المجلد الخامس عشر من الهلال ، الاخلاق عند الغزالي لزكي مبارك .

٣٠ — المنحولة

١ — التبر المسبوك في حكايات وحكم ونصائح الملوك . طبع في القاهرة غير مرة . وقد ترجمه عن الفارسية الى العربية — فيما يزعم الذين دسوه على الغزالي — أحد تلامذة المؤلف ويسمى ايضاً « عمدة المحققين وبرهان اليقين » .

٢ — تحسين الظنون .

٣ — سر العالمين وكشف ما في الدارين ، يبحث في نظام الحكومات منسوب له ، والصواب انه لاحد الباطنية طبع في الهند ومصر ، ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية .

٤ — السر المكتوم في أسرار النجوم .

٥ – المضنون بـه على غير أهله . (انظر رقم ٣٢)، ذهب السبكي، وابن عربي وابن الصلاح والزبيدي الى أن هذا الكتاب اشتمل على القول بقدم العالم ونفى علم القديم بالجزئيات. وتابعهم الدكتور علي العناني وغيره من علماء العصر على ابعاد هذا الكتاب من جريدة كتب الغزالي قال ابن عربي في محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار ج ١، ص ١٥٩ : « كان هذا الشيخ المسفر (الكلام عن ابي الحسن علي المسفر) جليل القدر، حكيماً عارفاً غامضاً في الناس، محمود الذكر رأيته بسبتة، له تصانيف منها منهاج العابدين الذي يعزى لأبي حامد الغزالي، وليس له، وانما هو من مصنفات هذا الشيخ. وكذلك كتاب النفخ والتسوية الذي يعزى الى أبي حامد أيضاً وتسميه الناس المضنون الصغير. » ويقول ابن رشد في مناهج الادلة ص ٧٢ ان الغزالي ذكر المضنون به في جواهر القرآن، ولكننا لم نجد في هذا الكتاب ذكراً للمضنون به، بل وجدنا فيه اشارة غامضة الى كتب يرى الغزالي ان لا يظهر ما فيها (راجع جواهر القرآن ص ٣٠ من طبعة مصر ١٣٢٩) ولما كان كتاب المضنون بـه على غير اهله مشتملاً على مسألة في النفخ والتسوية، وكان كتاب النفخ والتسوية معروفاً باسم المضنون الصغير، وهو للشيخ المسفر. كان من المحتمل ان يكون المضنون الذي بين أيدينا مؤلفاً من قسمين أحدهما للغزالي والآخر (وهو المسألة الاولى في النفخ والتسوية) مدسوس عليه، والدليل على ذلك ان هذه المسألة قد اشتملت على القول بعدم تناهي الزمان، اما المسائل الاخرى التي اشتمل عليها كتاب المضنون به على غير اهله فليس فيها ما يخالف آراء الغزالي.

٦ – كتاب النفخ والتسوية، وهو للشيخ المسفر ابي الحسن علي السبتي (راجع ابن عربي، محاضرة الاسرار ومسامرة الاخيار، جزء ١ ص ١٥٩

اهم المصادر عن الغزالي

١ — حياته ومؤلفاته

١ — المنقذ من الضلال .

٢ — السيد المرتضى ، مقدمة كتاب « الاتحاف » ج ١ ص ٢ — ٥٣ ، والمادة نفسها الموجودة في الاتحاف موجودة في طبقات السبكي ج ٤ ، ص ١٠١ — ١٨٢ ، وفي المجلد الثاني من المنتخبات التي انتخبها (مهرن) Mehren في : Translation III Congress of orientalists .

٣ — د . ب مكدونالد (D. B. Macdonald) The Life of Al. Ghazali with especial reference to his religious experiences and opinion .

انظر مجلة (J. A. O. S.) ١٨٩٩ ، المجلد العشرون ص ٧١ — ١٣٢ .

انظر ايضاً الفصل الرابع من Development of Muslin theologie — ١٩٠٣ .

٤ — ر . غوش (R.Gosche) über Gazzalis Leben und werke 1858 .

٥ — ميغيل آزين — بالاسيوس (Miguel Asin-Palacios) Al Gazel- : Dogmatica, moral, ascética سرقسطة ١٩٠١ .

٦ — كارّا دو فو (Carra de Vaux) Gazali ، باريز ١٩٠٢ .

راجع ايضاً Traduction du Tahafot d'Al Gazali, Munchen 1899, 1900 .

٧ — كولد تسيهر (Goldziher) : Vorlensungen über den Islam المقدمة ، وخصوصاً ص ١١٧ وما بعدها .

١ - منزلة الغزالي في تاريخ الفلسفة

١ — ت . ج . دي بوير (T. J. de Boer) : Geschichte der Phi- losophie im Islam : Stuttgart, 1901 المقدمة و ص ١٣٨ — ١٥٠ .

٢ — كولد تسيهر (Goldziher) : Kultur der Gegenwart مجلد ١ ج ٥ ص ٦٢ وما بعدها .

٢ — منطق الغزالي

١ — برانتل (Prantl) : Geschihtede Logik ج ٢ ص ٣٦١ وما بعدها .

٣ — مركزه في التاريخ

١ — نيكلسون (Nicholson) : Literary History of the Arabs المقدمة ، و ص ٣٣٨ وما بعدها .

٢ — براون (Brown) : A. Literay Histrory of Persia المقدمة .

٣ — دائرة المعارف اليهودية : ج ٥ ص ٦٤٩ وما بعدها .

٤ — ماكس هورتن (M. Horten) : ملاحظات خاصة في :

Philos. Systeme d. spec. Theologen im Islam.

٥ — ماكس هورتن (M. Horten) : مقدمة كتاب :

Die Hauptlehrren : des Averroes nach soiner Schrift die Widerlegung de Gazale وخصوصاً ص ٣٢٣ — ٣٢٨ .

٤ — نقد الغزالي

١ — آزين (Asin) : Un faqih Siciliano, contradictor de Al - Gazali في : Centenario de Michele Amari ج ٢ ص ٢١٦ — ٢٤١ .

٥ — مصادر عامة ودراسات

١ — الدكتور زكي مبارك : الاخلاق عند الغزالي .

٢ — عبد اللطيف الطيباوي : التصوف الاسلامي العربي ، ص ٤٣ — ٥١ .

٣ — محمد لطفي جمعة : تاريخ فلاسفة الاسلام ، ص ٦٧ — ٧٨ .

٤ — دائرة المعارف الاسلامية : في مادة الغزالي .

٥ — ج اوبرمان (J. Obermann) : Der Philosophische und religioese Subjeclivismus Ghazâlis. Leibzig 1921 .

انظر ملاحظات (بويج) (Bouyges) عليه في رسالته المسماة Algazaliana ص ٥٠٤ — ٥٤٤ وتحليلاً له في مجلة العالم الاسلامي بقلم (ماسينيون) ص ١٥٩ من الجزء ٥٠ .

٦ — ماكس هورتن (M. Horten) : D. Philos. d. Islam ص ٢٢٧ — ٢٣٤ .

٧ — آزين بالاسيوس (Asin -Palacios) : La mystique d' Al-Gh- azali M F O B 1914, VII 67-104 (Mélanges de la Faculté orien tale de Beyrouth) .

٨ — آزين بالاسيوس (ايضاً) :

Une introduction musulmane â la vie spirituelle. Revue d'Ascétique el de mystique IV juillet.

٩ – آزين بالاسيوس (ايضاً) :

La mystique d' Al Gazali : Semaine d' Elhnologie religieuse Paris 1914, 441 - 461 .

١٠ – الدكتور حكمة هاشم (Hikmat Hachem) : La critique du Pèripatétisme et du Néo- Platonisme chez Algazel . وهو اطروحته للدكتوراه (١٩٤٦) مخطوط .

١١ – ل . غوتيه (L Gauthier) : La philosophiè musulmane 1900 .

١٢ – كولد تسيهر (Goldziher) : Streitschrift des Gazali gegen die Batinijja - Sekte 1916. J. A. 1918 Janv. (Journal Asiatique) .

١٣ – م . بويج (M. Bouyges) : Notes sur les philosophes arabes Connus des latins au Moyen Age, IV.C'est du Maqàcid que l'on a extrait les Al gazalis errores, Beyrouth 1921 . Algazaliana, 1922 - Mélanges de la Faculté Orientale de Beyrouth. VIII . انظر ايضاً

١٤ – آ . ج . فنزينك (A.J.Wensinck) : La penseé de Ghazz- ali, Paris 1940 .

١٥ – الدكتور كريم عزقول : « **العقل في الاسلام** » مكتبة صادر ، بيروت ١٩٤٦ .

١٦ – الدكتور احمد فريد رفاعي : « **الغزالي** » في مجلدين وثالث خصص بالمختارات ، مطبوعات دار المأمون ، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر ١٩٣٦ م و ١٣٥٥ هـ .

١٧ – كارادوفو (Carra de Vaux) Les penseurs de l'Islam. Paris.

٢ ـ طبعات المنقذ من الضلال

١ ـ باريز : ١٨٤٢ م ، شمولدرز بالعربية (في ٦٤ صفحة) .

٢ ـ الاستانة : ١٢٨٧ هـ .

٣ ـ الاستانة : (مطبعة الاعلام) ١٣٠٣ هـ .

٤ ـ مصر : ١٣٠٣ هـ .

٥ ـ مصر : (المطبعة الميمنية) ١٣٠٩ هـ .

٦ ـ بومباي : ١٨٩١ م .

٧ ـ مصر : (المطبعة الازهرية ١٣١٦ هـ (على هامش الانسان الكامل .

٨ ـ دمشق : (مطبعة ابن زيدون) ١٣٥٢ هـ ١٩٣٤ .

٩ ـ القاهرة : احمد فريد رفاعي في الجزء ٣ من كتابه الغزالي .

٣ ـ ترجمتا المنقذ من الضلال

١ ـ شمولدرز (Schmölders) في كتابه :

Essai sur les écoles philosophiques chez les Arabes et notamment sur la doctrine d'Algazzali,

(باريس ، ١٨٤٢) Paris 1842 .

٢ ـ باربيه دي مينار (Barbier de Meynard) :

(المجلة الآسيوية ، كانون الثاني ١٨٧٧) Journal asiatique Janvier 1877

٣ ـ للمنقذ تحليل مفصل لكنه غير تام بقلم M. Pallia ظهر سنة ١٨٣٧ في Mémoires de l'Académie Royale des من الصفحات ١٥٥ ـ ١٩٣ Sciences morales et Politiques t I : Savants étrangers .

ملاحظة

قوبلت هذه الطبعة على نسختين خطيتين الاولى للعالم الجليل الشيخ محمد الطنطاوي ، والثانية للاستاذ احمد عبيد (انتقلت هذه النسخة الاخيرة الى المكتبة الظاهرية وسجلت فيها برقم ٧٦٢١ عام) .

اما نسخة الشيخ محمد الطنطاوي فهي ضمن مجموع اول اقسامه « المنقذ » يليه « ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد » للانصاري ، « ورسالة صغيرة في الطب » للسنوسى ، « وحي بن يقظان » لابن طفيل . والمجموع كله بخطه رحمه الله . ويبلغ عرض المكتوب من صفحة المجموع ١١ سم وطوله ١٧٫٥ سم ، ويبلغ عدد اوراق المنقذ ١٥ ورقة ، في كل صفحة ٢٧ سطراً . ولقد كتب المنقذ عام ١٢٨٥ ، اي قبل صدور طبعة الاستانة بعامين .

واما نسخة الاستاذ احمد عبيد التي انتقلت الى المكتبة الظاهرية فهي ضمن مجموع اول اقسامه « المنقذ من الضلال » يليه كتاب « مشكاة الانوار » للغزالي ، وكتاب « التلويحات في تفسير ألله نور السموات » للعضد ، وكتاب « حلية الابدال » للشيخ الاكبر محي الدين ابن عربي ، وكتاب القسطاس المستقيم للغزالي ، وكتاب برهان العلوم له ايضاً ، وكتاب الجام العوام عن علم الكلام له ايضاً ، ورسالة في شرح ابيات للامام علي بن أبي طالب للغزالي أيضاً مع ترجمة هذه الرسالة الاخيرة الى اللغة التركية . ويبلغ عرض المكتوب من المنقذ ٩٫٥ سم وطوله ١٦٫٥ سم ، ويبلغ عدد اوراقه ١٦ ورقة في كل صفحة ٢٣ سطراً . والنسخة حديثة كتبت بالقلم الفارسى وعليها تعليقات مختصرة باللغة العربية والتركية .

وأما ما اشير اليه في هذا الكتاب بين هلالين (...) فيفيد الزيادات الموجودة في النسخ المطبوعة ، وما اشير اليه بين معقوفتين [...] فيدل على الزيادات الموجودة في نسخة الطنطاوي وما اشير اليه بـ < ... > فيدل على الزيادات الموجودة في نسخة عبيد، وحرف (ع) في الحواشي يرمز الى النسخ المطبوعة ، كما أن حرف (ط) يرمز الى نسخة الطنطاوي ، وحرف (د) الى نسخة احمد عبيد .

★★★

المنقذ من الضلال

والموصل الى ذي العزة والجلال

لحجة الاسلام « الغزالي »

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

الحمد لله الذي يفتتح بحمده كل رسالة ومقالة ، والصلاة على محمد (المصطفى) صاحب النبوة والرسالة ، وعلى آله وأصحابه الهادين من الضلالة .

أما بعد: فقد[1] سألتني أيها الأخ في الدين ، أن أبث إليك غاية العلوم وأسرارها ، وغائلة المذاهب وأغوارها ، وأحكي لك ماقاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق ، مع تباين المسالك والطرق ، وما استجرأت عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد ، إلى يفاع[2] الاستبصار ، وما استفدته أولاً من علم الكلام[3] ، وما اجتويته[4] ثانياً من طرق اهل التعليم[5] القاصرين لدرك الحق على تقليد الإمام ، وما ازدريته ثالثاً من طرق التفلسف[6] ، وما ارتضيته آخراً من طريقة[7] التصوف[8] ، وما انجلى[9] لي في تضاعيف تفتيشي عن أقاويل

---

(١) في (د) : وانك

(٢) اليفاع : المشرف من الارض

(٣) راجع فصل « علم الكلام »

(٤) وردت في (ع) و (ط) احتويته ، ولعل الصواب اجتويته ، أي كرهته

(٥) راجع فصل « مذهب التعليم »

(٦) راجع فصل « الفلسفة »

(٧) في (د) : طريق

(٨) راجع فصل « طريقة التصوف »

(٩) في بعض النسخ المطبوعة : وما انحل وفي (ط) : وماينحل

الخلق ، من لباب الحق ، وما صرفني عن نشر العلم ببغداد ، مع كثرة الطلبة ، وما دعاني الى معاودته [١] بنيسابور [٢] بعد طول المدة ، فابتدرت لإجابتك إلى مطلبك ، بعد الوقوف على صدق رغبتك ، وقلت مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه ، ومستوفقاً منه ، وملتجئاً إليه :

اعلموا — أحسن الله (تعالى) إرشادكم ، وألان للحق قيادكم — ان اختلاف الخلق في الاديان والملل ، ثم اختلاف الأئمة [٣] في المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق . بحرٌ عميق غرق فيه الأكثرون ، وما نجا منه [٤] إلا الأقلون . وكل فريق يزعم أنه الناجي ، و« كلُ حزبٍ بما لديهمْ فرحون [٥] » وهو الذي وعدنا به سيد المرسلين ، صلوات الله عليه ، وهو الصادق الصدوق [٦] حيث قال : « ستفترقُ أمتي ثلاثاً [٧] وسبعين فرقةً ، الناجية منها واحدة [٨] » فقد كاد [٨] ماوعد ان يكون .

---

(١) في جميع النسخ المطبوعة : معاودتي

(٢) نيسابور : مدينة عظيمة من أعمال خراسان . . فتحها المسلمون ايام عثمان . نبغ منها عدد كبير من أئمة العلم حتى قال عنها ياقوت : « معدن الفضلاء ، ومنبع العلماء ، لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها . » وقد هاجمها التتر واتوا على جميع ابنيتها حتى لم يبق فيها حجر قائم على آخر . ولم تزل خراباً الى اليوم !!!

(٣) في ع : الأمة.

(٤) في ط : فيه

(٥) قرآن كريم سورة « الروم » (الآية : ٣٢ ، وسورة «المؤمنون» (الآية ٥٣)

(٦) في ظ ، د : المصدوق .

(٧) في (د) : نيفاً

(٨) ورد هذا الحديث في الجامع الصغير بالنص التالي : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة . » رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة .

(٦) في ط ، د : كان

ولم أزل في عنفوان شبابي (وريعان عمري)[١]، منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى الآن ، وقد اناف السن على الخمسين ، أقتحم[٢] لجّة هذا البحر العميق ، وأخوض غمرَته خوض الجسور، لا خَوْض الجبان الحذور، واتوغل في كل مظلمة ، وأتهجم على كل مشكلة ، وأتقحم[٣] كل ورطة ، وافتحص عن عقيدة كل فرقة ، وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة، لأميز بين مُحق ومبطل، ومتسنن ومبتدع[٤] لا أغادر باطنياً إلا وأحب ان أطلع على باطنيته[٥]، ولا ظاهرياً[٦] إلا وأريد أن أعلم حاصل[٧] ظاهريته[٨]، ولا فلسفياً إلا واقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلماً إلا وأجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفياً إلا واحرص على العثور على سر صفوته ، ولا متعبداً إلا واترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته ، ولا زنديقاً[٩]

---

(١) سقط من (ع . ط)

(٢) في ط : اتقحم

(٣) في ط ، د : اقتحم .

(٤) مبتدع : من البدعة ومعناها لغة : الاختراع ؛ ثم غلبت على الحدث المكروه في الدين . ولفظ المبتدع لايكاد يستعمل الا في الذم .

(٥) في (ع .ط) : بطانته : والبطانة في الاصل: السريرة والمراد بها هنا: العقيدة الباطنة

(٦) الظاهرية : فرقة تنسب الى داود الظاهري ، وهي الفرقة التي تأخذ بظاهر القرآن والحديث ولاتتكلف تأويلًا او تفسيراً بعيداً .

(٧) في ط : حال

(٨) في (ع . ط) : ظهارته .

(٩) جاء في لسان العرب : « الزنديق : القائل ببقاء الدهر معرب « زندكر» أي يقول ببقاء الدهر . » واختلف في الزندقة هل هي مذهب معين أم تطلق على كل ملحد ؟ فقد قال ابن قتيبة في كتابه «المعارف» عند كلامه عن اديان العرب في الجاهلية :« كانت النصرانية في ربيعة ، وكانت اليهود في حمير، و ... وكانت الزندقة في قريش أخذوها من الحيرة .» وكذلك « الخياط » المعتزلي يستعملها في كتابه « الانتصار » للدلالة على فرقة خاصة .=

معطلًا [١] إلا وأتجسس وراءه للتنبه لأسباب جرأته في تعطيله وزندقته .

وقد كان التعطش إلى دَرْك حقائق الامور دأبي وديدني من أول امري وريعان عمري ، غريزةً وفطرةً من الله وضُعتا [٢] في جِبِلتي ، لاباختياري وحيلتي ، حتى انحلت عني رابطة التقليد ، وانكسرت على العقائد الموروثة ، على قرب عهدِ سنِ [٣] الصبا ، اذ رأيت صبيان النصارى لايكون لهم نشوءٌ [٤] إلا على التنصر ، وصبيان اليهود لانشوءَ لهم إلا على التهود ، وصبيان المسلمين لانشوءَ لهم إلا على الاسلام . وسمعت الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « كل مولودٍ يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانهِ ويمجسانه » [٥] فتحرك باطني الى (طلب) [٦] حقيقة الفطرة الأصلية ، وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين [٧] ، والتمييز بين هذه التقليدات ، وأوائلها تلقينات [٨] وفي تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات . فقلت في نفسي : أولا ،

=على أن ابن منظور يذكر في لسان العرب أن أحمد بن يحيى يقول ليس في كلام العرب زنديق ، فاذا أرادت العرب معنى ماتقوله العامة ، قالوا ملحد ودهري »

راجع لزبادة الايضاح « فجر الاسلام لاحمد امين ص ١٢٨ (طبعة أولى) وضحى الاسلام له ايضاً ص ١٣٧ »

(١) المعطل : من التعطيل ، وهو انكار صفات الخالق . فالمعطلة تقول مثلا في تفسير قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » أن لاعرش هناك ، ولا استواء فعلياً ، بل يحملون لفظ «استوى» على معنى استولى » وكذلك في سائر الصفات .

(٢) في ط،د : وضعها

(٣) في ع : عهد بسن

(٤) في ط و ع : نشو ، وهو خطأ كما في المعاجم الشهيرة

(٥) قطعة من حديث اخرجه البخاري في صحيحه ، وتكملته : « كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء ؟ »

(٦) سقط من (ط.ع)

(٧) الأستاذين ج أستاذ وهو لفظ فارسي معرب ويجمع على أساتذة وأساتيذ ايضاً .

(٨) في ط : بتلقينات .

إنما مطلوبي العلم بحقائق الأمور ، فلا بُد من طلب حقيقة العلم ماهي ؟ فظهر لي ان العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لايبقى معه ريب ، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بل الامان من الخطإ ينبغي ان يكون مقارناً لليقين مقارنة لو تحدى باظهار بطلانه مثلاً من يقلب الحجر ذهباً والعصا ثعباناً ، لم يورث ذلك شكاً وإنكاراً [١] فإني اذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة ؛ فلو قال لي قائل : لا ، بل الثلاثة أكثر من العشرة [٢] بدليل أني أقلب هذه العصا ثعباناً ، وقلبها ، وشاهدت ذلك منه ، لم أشك بسببه في معرفتي [٣] ، ولم يحصل لي منه إلا التعجب من كيفية قدرته عليه ! فأما الشك فيما علمته ، فلا .

ثم علمت ان كل مالا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين ، فهو علم لاثقة به ولا أمان معه ، وكل علم لاأمان معه فليس بعلم يقيني .

---

(١) في ط ، : وإمكاناً .

(٢) سقط من (ط.ع) .

(٣) في (د) : وشاهدت منه ذلك لم اشك في معرفتي بسببه .

مداخل السفسطة (١) وهجمة العلوم

ثم فتشت عن علومي فوجدت نفسي عاطلاً من علم موصوف بهذه الصفة(٢) إلا في الحسيات والضروريات . فقلت : الآن بعد حصول اليأس ، لامطمع(٣) في اقتباس المشكلات إلا من الجليات ، وهي الحسيات والضروريات . فلابد من إحكامها أولا لأتيقن(٤) أن ثقتي بالمحسوسات ، وأماني من الغلط في الضروريات ، من جنس أماني الذي كان من قبلُ في التقليديات(٥) ، ومن جنس أمان أكثر الخلق في النظريات ، أم هو أمان محققٌ لاغدر(٦) فيه ولاغائلة (٧) له ؟ فأ قبلت بجد بليغ أتأمل في المحسوسات والضروريات ، وانظر هل يمكنني أن أشكك نفسي فيها (٨) ؛ فانتهى بي طول التشكك(٩) إلى أن لم (١٠) تسمح نفسي بتسليم الامان

---

(١) ذهب فلاسفة العرب الى ان هذه اللفظة منحوتة من «صوفيا» وهي الحكمة ومن «أسطس» وهي المموهة ، والحقيقة أنها مأخوذة من الكلمة اليونانية «سوفيزما Sophisma» ومعناها المهارة في الامور؛ ومنها اشتق لفظ « سفسطيس Sophistes » اليوناني . إلا أنه أصبح يطلق بشيء من الزراية على أولئك الذين دأبهم أن يستعملوا الاقاويل الخلابة ، والمغالطة في الكلام ، لأنهم اتخذوا التعليم مهنة ، وأخذوا يلقنون تلاميذهم كيف ينصرون أو يهدمون أي رأي كان متى شاؤوا من غير اعتبار للحق والعدل كما في معجمي «لالاند» و«فرانك» (عن احصاء العلوم باختصار)

(٢) في (د) : عاطله من علوم موصوفة بهذه الصفات .

(٣) في (د): طمع

(٤) في ط . د : لأتبين .

(٥) في جميع النسخ المطبوعة : التقليدات .

(٦) في ط : لاعور ، وفي د : لاغور .

(٧) في ع : غاية .

(٨) في (د) : فيها نفسي

(٩) في (ط ع): التشكيك

(١٠) في ط : لا

في المحسوسات أيضاً ، وأخذت تتسع للشك فيها وتقول[١]: من اين الثقة بالمحسوسات وأقواها حاسة البصر ، وهي تنظر الى الظل فتراه واقفاً غير متحرك ، وتحكم بنفي الحركة ؟ ثم بالتجربة والمشاهدة ، بعد ساعة تعرف أنه متحرك[٢] وأنه لم يتحرك دفعة <واحدة[٣]> بغتة ، بل على التدريج ذرة ذرة حتى لم يكن له حالة وقوف . وتنظر الى الكوكب فتراه صغيراً[٤] في مقدار دينار ، ثم الادلة الهندسية تدل على انه[٥] أكبر من الارض في المقدار . هذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس باحكامه ، ويكذبه حاكم العقل ويخونه تكذيباً لاسبيل الى مدافعته . فقلت : قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضاً فلعله لاثقة الا بالعقليات التي هي من الاوليات ، كقولنا : العشرة اكثر من الثلاثة ، والنفي والاثبات لايجتمعان في الشيء الواحد[٦] ، والشيء الواحد لايكون حادثاً قديماً ، موجوداً معدوماً ، واجباً محالاً . فقالت المحسوسات : بم تأمن[٧] أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات ، وقد كنت واثقاً بي ، فجاء حاكم العقل فكذبني ، ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي فلعل وراء ادراك العقل حاكماً آخر ، اذا تجلى ، كذب العقل في حكمه ، كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه . وعدم تجلي ذلك الادراك ، لايدل على استحالته . فتوقفت النفس في جواب ذلك قليلا ، وايدت اشكالها بالمنام ، وقالت : اما تراك تعتقد في النوم أموراً ، وتتخيل أحوالاً ، وتعتقد لها ثباتاً واستقراراً ، ولاتشك في تلك الحالة فيها ، ثم تستيقظ فتعلم انه لم يكن لجميع

---

(١) في (ط . ع) : واخذ يتسع هذا الشك فيها ويقول .
(٢) في ع: يتحرك .
(٣) سقط من ط . ع
(٤) في ط : الكواكب فتراها صغاراً
(٥) في ط : أنها
(٦) فى (د): فى شيء واحد
(٧) في (ط . ع) : تأمل .

متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل ؟ فبم تأمن ان يكون جميع ماتعتقده في يقظتك بحس او عقل هو حق بالاضافة الى حالتك [التي أنت فيها] لكن يمكن ان تطرأ عليك حالة تكون نسبتها الى يقظتك ، كنسبة يقظتك الى منامك ، وتكون يقظتك نوماً بالاضافة اليها ! فاذا وردت تلك الحالة تيقنت ان جميع ماتوهمت بعقلك خيالات لاحاصل لها ، ولعل تلك الحالة مايدعيه [١] **الصوفية** انها حالتهم : اذ يزعمون انهم يشاهدون في أحوالهم التي (لهم) اذا غاصوا في انفسهم ، وغابوا عن حواسهم ، احوالاً لاتوافق هذه المعقولات . ولعل تلك الحالة هي الموت ، اذ قال رسول الله ﷺ : « الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » [٢] فلعل الحياة الدنيا نوم بالاضافة الى الآخرة . فاذا مات ظهرت له الاشياء على خلاف مايشاهده الآن ، ويقال له عند ذلك : « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد [٣] » فلما خطرت لي هذه الخواطر ، (و) انقدحت في النفس ، حاولت لذلك [٤] علاجاً فلم يتيسر اذ لم يكن دفعه الا بالدليل [٥] ، ولم يمكن نصب دليل الا من تركيب العلوم الاولية . فاذا لم تكن مسلمة لم يمكن ترتيب الدليل . فأعضل هذا الداء ، ودام قريباً من شهرين انا فيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال ، لا بحكم النطق والمقال ، حتى شفى الله تعالى من [٦] ذلك المرض ، وعادت النفس الى الصحة والاعتدال ، ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقاً بها على من امن ويقين ، ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام [٧] ، بل بنور

---

(١) في ع : يدعيها

(٢) لم يصح هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقد جاء في كتاب « أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب » لمحمد الحوت أن هذه الحكمة من كلام علي ابن ابي طالب

(٣) قرآن كريم ، سورة «ق» الآية ٢٢

(٤) في ع ، د : فحاولت .

(٥) في (د) : بدليل .

(٦) في ط : عني ، وفي (د) : عن ذلك المرض والاعتدال

(٧) في (د) : ولاترتيب كلام

قذفه الله تعالى في الصدر ، وذلك النور هو مفتاح اكثر المعارف . فمن ظن ان الكشف موقوف على الادلة المحررة [1] فقد ضيق رحمه الله [تعالى] الواسعة ؛ ولما سئل رسول الله ﷺ [2] عن « الشرح » ومعناه في قوله تعالى : « فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام . [3] قال [4] « هو نور يقذفه الله تعالى في القلب فقيل : « وما علامته ؟ » فقال : « التجافي عن دار الغرور ، والانابة الى دار الخلود . [5] » وهو الذي قال ﷺ فيه : « إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره [6] . » فمن ذلك النور ينبغي ان يطلب الكشف ، وذلك النور ينبجس من الجود الإلهي في بعض الاحايين ، ويجب الترصد له [7] كما قال عليه السلام : « ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها [8] . »

والمقصود من هذه الحكايات أن يعمل [9] كمال الجد في الطلب ، حتى ينتهي [10] الى طلب مالا يطلب . فان الاوليات ليست مطلوبة ، فانها حاضرة . والحاضر اذا طلب فقد [11] واختفى . ومن طلب مالا يطلب ، فلا يتهم بالتقصير في طلب مايطلب .

---

(١) في ع : المجردة (٢) في ط .ع : عليه السلام

(٣) سورة « الانعام » الآية ١٢٥

(٤) في ط ، ع : فقال

(٥) أخرج هذا الحديث ابن جرير وعبد الرزاق وأبن ابي حاتم ، وساقه الامام ابن كثير بأسانيده في تفسيره ج ٣ ص ٣٤٩ ثم قال : « فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضاً . » .

(٦) ورد هذا الحديث في مسند أحمد بالنص التالي : « إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره . فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل . » عن ابن عمرو (٧) في ط : لها

(٨) ورد هذا الحديث في الفتح الكبير للسيوطي بالنص التالي : « إن لربكم في أيام دهركم نفحات ، فتعرضوا له ، لعله ان يصيبكم نفحة منها ، فلا تشقون بعدها أبداً . » رواه الطبراني عن محمد بن مسلمة

(٩) في ط : الحكاية أن يعلم ، وفي د : الحكاية ان تعلم .

(١٠) في (د) : انتهى (١١) في ط : نفر

أصناف الطالبين

ولما شفاني الله تعالى من هذا المرض [١] بفضله وسعة جوده ، انحصرت أصناف الطالبين عندي في أربع فرق :

١ . — **المتكلمون** : وهم يدعون [٢] أنهم أهل الرأي والنظر ؛

٢ . — **الباطنية** : وهم يزعمون أنهم أصحاب [٣] التعليم والمخصوصون بالاقتباس من الإمام المعصوم ؛

٣ — . **الفلاسفة** : وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان ؛

٤ . — **الصوفية** : وهم يدعون [٤] أنهم خواص الحضرة وأهل المشاهدة والمكاشفة

فقلت في نفسي : الحق لا يعدو [٥] هذه الأصناف الاربعة ، فهؤلاء هم السالكون سبل [٦] طلب الحق ، فإن شذ الحق عنهم ، فلا يبقى في درك الحق مطمع ، إذ لا مطمع في الرجوع إلى التقليد بعد مفارقته ؛ و (من) [٧] شرط المقلد أن لا يعلم أنه مقلد ، فإذا علم ذلك انكسرت زجاجة تقليده ، وهو شعب لا يرأب ، وشعث لا يلم بالتلفيق والتأليف ، إلا أن يذاب بالنار ، ويستأنف له صنعة [٨] أخرى مستجدة .

---

(١) في ط : ولما كفاني الله مؤونة هذا المرض .

(٢) في ط : يزعمون

(٣) في (د) : وهم يدعون انهم أهل

(٤) في (د) : يزعمون

(٥) في ع : لا يعدو عن

(٦) في ط ، د : سبيل

(٧) سقط من (د) .

(٨ في ع : إلا أن تذاب بالنار ، ويستأنف لها صيغة أخرى مستجدة

فابتدرت [١] لسلوك هذه الطرق، واستقصاء ماعند هذه الفرق [٢] ، مبتدئاً بعلم الكلام ، ومثنياً بطريق الفلسفة ، ومثلثاً بتعليم [٣] الباطنية ، وسربعاً بطريق الصوفية .

❀ ❀ ❀

(١) في (ط) : فابتدأت، وفي (د) :فانتدبت
(٢) في (د) :هؤلاء الفرق
(٣) في (ع) ، (د) : بتعليات

١ . — علم الكلام : مقصوده وحاصله

ثم إني ابتدأت بعلم الكلام [١] ، فحصلته وعقلته [٢] ، وطالعت كتب المحققين منهم ، وصنفت فيه ماأردت أن أصنف ، فصادفته علماً وافياً بمقصوده ، غير واف بمقصودي ؛ وإنما المقصود [٣] منه حفظ عقيدة أهل السنة [على أهل السنة] ، وحراستها عن تشويش أهل البدعة . فقد القى الله (تعالى) الى عباده على لسان رسوله عقيدة هي الحق ، على مافيه صلاح دينهم ودنياهم ، كما نطق بمعرفته [٤] القرآن والاخبار . ثم القى الشيطان في وساوس المبتدعة أموراً مخالفة للسنة ، فلهجوا بها ، وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها . فأنشأ الله تعالى طائفة المتكلمين ، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب ، يكشف عن تلبيسات

---

(١) نشأ علم الكلام في الاسلام على أثر قيام بعض العلماء بالبحث في العقائد الدينية والاستعانة بالادلة العقلية والحجج المنطقية لتقرير الحق فيها . وكان ذلك يدعو الى المناظرة والجدال بالاقوال فانتقلت واسطة المناظرة ، وهي الكلام ، الى العلم كله ، وهكذا ظهرت الفرق المعروفة في الاسلام مثل المرجئة والقدرية والمعتزلة وسمي جميع العلماء الذين يبحثون في العقائد الدينية بحثاً عقلياً منطقياً بالمتكلمين ، وربما كان من أسباب تسميته علم الكلام ان اهم موضوع دار حوله الجدل والتنازع هو اثبات الكلام النفسي .

وعلى كل حال فان الكلام اقتصر اخيراً على العلم الذي يتضمن الحجاج والدفاع عن العقائد الدينية بالادلة العقلية ، والاساليب المنطقية ، والرد على الخارجين عن مذاهب اهل السنة
(راجع ابن خلدون ، المقدمة ، فصل « علم الكلام » ؛
وكذلك مادة «علم الكلام» في دائرة المعارف الاسلامية) .

(٢) في (ط) : وعلقته
(٣) في (ط،ع) : وانما مقصوده
(٤) في (ط) ، (د) : بمقدماته

أهل البدع [١] المحدثة ، على خلاف السنة المأثورة ؛ فمنه نشأ علم الكلام وأهله . ولقد [٢] قام طائفة منهم بما ندبهم الله (تعالى) اليه [٣] فأحسنوا الذب عن السنة والنضال عن العقيدة المتلقاة بالقبول من النبوة ، والتغيير في وجه ماأحدث من البدعة ، ولكنهم اعتمدوا في ذلك على مقدمات تسلموها [٤] من خصومهم واضطرهم الى تسليمها : إما التقليد ، أو اجماع الامة ، أو مجرد القبول من القرآن والاخبار. وكان اكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم ، ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم . وهذا قليل النفع في حق [٥] من لايسلم سوى الضروريات شيئاً (أصلا) فلم يكن الكلام في حقي كافياً ، ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافياً . نعم، لما نشأت صنعة الكلام ،وكثر الخوض فيه وطالت المدة ، تشوق المتكلمون الى محاولة [٦] الذب (عن السنة) بالبحث عن حقائق الامور ، وخاضوا في البحث عن الجواهر والاعراض [٧] وأحكامها . ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم ، لم يبلغ كلامهم فيه [٨] الغاية القصوى ، فلم يحصل منه مايمحق [٩] بالكلية ظلمات

---

(١) في (ط.ع) : البدعة

(٢) في (ط.ع) : فلقد

(٣) في ط : له

(٤) في ط : تسلم

(٥) في ع :جنب

(٦) في د:تشوف ، وفي ع : تشوف المتكلمون الى مجاوزة

(٧) الجوهر في اللغة : الاصل ، واصطلاحاً : ماقام بنفسه . والعرض هو الموجود الذي يحتاج الى موضوع يقوم به ، كاللون المحتاج في وجوده الى جسم .وقد قسم الحكماء الاقدمون الاعراض الى تسعة : الكم ، الكيف ، الاضافة ، الاين ، المتى ، الملك ، الوضع ، الفعل ، الانفعال ؛ وقد جمعها بعضهم بقوله:

زيد الطويل الازرق ابن مالك ... في بيته بالامس كان متكي
بيده رمح لواه فالتوي ... فهذه عشر مقالات سوا

وتسمى هذه الاعراض التسعة مع الجوهر بالمقولات العشر .

(٨) فى (ط .ع):فى

(٩) فى (ع): مايمحو

الحيرة في اختلافات الخلق . ولا ابعد [١] ان يكون قد حصل ذلك لغيري ! بل لست اشك في حصول ذلك لطائفة ، ولكن حصولاً مشوباً بالتقليد في بعض الامور التي ليست من الاوليات !

والغرض الآن حكاية حالي ، لا الإنكار على من استشفى [٢] به ، فان أدوية الشفاء تختلف باختلاف الداء . وكم من دواء ينتفع به مريض ويستضر به آخر [٣] !

❀ ❀ ❀

---

(١) في (ط) : ولابعد
(٢) في(د): يستشفي
(٣) فى (ط) : الآخر

٢ . — الفلسفة

احاصيلها — مايذم منها وما لايذم — وما يكفر فيه قائله وما لايكفر — وما يبدع فيه وما لايبدع — وبيان ما سرقوه من كلام أهل الحق ومزجوه بكلامهم لترويج باطلهم في درج ذلك — وكيفية حصول نفرة النفوس من ذلك الحق — وكيفية استخلاص صراف الحقائق الحق الخالص من الزيف والبهرج من جملة كلامهم .

ثم اني ابتدأت ، بعد الفراغ من علم الكلام ، بعلم **الفلسفة** . وعلمت يقيناً انه لايقف على فساد نوع من العلوم ، من لايقف على منتهى ذلك العلم ، حتى يساوي أعلمهم في أصل [ذلك] العلم ، ثم يزبد عليه ويجاوز درجته ؛ فيطلع على مالم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة . وإذ ذاك يمكن أن يكون مايدعيه من فساد حقاً . ولم أر احداً من علماء الاسلام صرف عنايته وهمته الى ذلك ولم يكن في كتب « المتكلمين » من كلامهم ، حيث اشتغلوا بالرد عليهم ، إلا كلمات معقدة مبددة ، ظاهرة التناقض والفساد ، لايظن الاغترار بها بعاقل[1] عامي ، فضلاً عمن يدعي دقائق[2] العلوم . فعلمت ان رد المذهب قبل فهمه والاطلاع على كنهه رمي[3] في عماية . فشمرت عن ساق الجد ، في تحصيل ذلك العلم من الكتب ، بمجرد المطالعة من غير استعانة باستاذ ، واقبلت على ذلك في أوقات فراغي من التصنيف والتدريس في العلوم الشرعية ، وأنا ممنو[4] بالتدريس والافادة لثلاث مائة نفر[5] من الطلبة ببغداد . فأطلعني الله سبحانه [وتعالى] ، بمجرد المطالعة في هذه الاوقات المختلسة ، على منتهى علومهم في أقل من سنتين . ثم لم

---

(١) في (ع) : بغافل .
(٢) في (د) : حقائق
(٣) في (ط) : رد
(٤) ممنو . مبتلى ، وفي (د) : ضمين
(٥) في (ط) : نفس .

أزل اواظب على التفكر فيه بعد فهمه قريباً من سنة ، أعاوده وأردده واتفقد غوائله وأغواره ، حتى اطلعت على مافيه من خداع وتلبيس ، وتحقيق وتخييل اطلاعاً لم اشك فيه .

فاسمع الآن حكايتهم وحكاية حاصل علومهم ، فاني رأيتهم اصنافاً ، ورأيت علومهم اقساماً ؛ وهم على كثرة اصنافهم يلزمهم وصمة [٦] الكفر والالحاد ، وان كان بين القدماء منهم والاقدمين ، وبين الاواخر منهم والاوائل ، تفاوت عظيم في البعد عن الحق والقرب منه .

---

(٦) في (ع) : سمة .

اصناف الفلاسفة

وشمول وصمة الكفر كافتهم

أعلم : انهم ، على كثرة فرقهم واختلاف مذاهبهم ، ينقسمون الى ثلاثة اقسام : الدهريون ، والطبيعيون ، والالهيون .

الصنف الاول : الدهريون : وهم طائفة من الاقدمين جحدوا الصانع المدبر ، العالم القادر ، وزعموا ان العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه بلاصانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان [١] ، كذلك كان وكذلك يكون ابداً . **وهؤلاء هم الزنادقة** .

والصنف الثاني : الطبيعيون : وهم قوم اكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة ، وعن عجائب الحيوان والنبات ، واكثروا الخوض في علم تشريح اعضاء الحيوانات فرأوا فيها من عجائب صنع الله تعالى وبدائع حكمته ، مااضطروا [٢] معه الى الاعتراف بفاطر [٣] حكيم ، مطلع على غايات الامور [٤] ومقاصدها . ولا يطالع التشريح وعجائب منافع الأعضاء مطالع ، إلا ويحصل له هذا العلم الضروري بكمال تدبير الباني لبنية الحيوان ، لاسيما بنية الإنسان . إلا أن هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ، ظهر عندهم ، لاعتدال المزاج ، تأثير عظيم في

---

(١) في (د) : ولم يزل الحيوان من نطفة والنطفة من حيوان

(٢) في (ع) : فاضطروا .

(٣) في (ع) : يقادر

(٤) في (د) : العلوم

قِوام قوى الحيوان به . فظنوا أن القوة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه ايضاً ، وأنها تبطل ببطلان مزاجه فتنعدم[١] . ثم إذاانعدمت ، فلا يعقل إعادة المعدوم كما زعموا . فذهبوا (الى) أن النفس تموت ولا تعود ، فجحدوا الآخرة ، وأنكروا الجنة والنار ، [والحشر والنشر] ، والقيامة والحساب ، فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ، ولا للمعصية عقاب ؛ فانحل عنهم اللجام ،وانهمكوا في الشهوات انهماك الأنعام .

وهؤلاء ايضاً زنادقة : لأن أصل الإيمان : هو الإيمان بالله واليوم الآخر. وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر ، وإن آمنوا بالله وصفاته .

الصنف الثالث: الالهيون : وهم المتأخرون منهم [مثل] : سقراط:وهو أُستاذ أفلاطون ، وأفلاطون أُستاذ أرسطاطاليس ، وأرسطاطاليس هو الذي رتب لهم المنطق ، وهذّب [لهم] العلوم ، وحرّر لهم مالم يكن محرراً[٢] من قبلُ ، وأنضَجَ لهم ما كان فِجاً من علومهم ، وهم بجملتهم ردوا على الصنفين الأولين من الدهرية والطبيعية ، وأوردوا في الكشف عن فضائحهم ما أغنوا به غيرهم . « وكفى الله المؤمنين القتال[٣] » بتقاتلهم . ثم رد أرسطاطاليس على أفلاطون وسقراط ، ومن كان قبله من الإلهيين ، رداً لم يقصر فيه حتى تبرأ عن جميعهم ، إلا أنه استبقى أيضاً من رذائل كفرهم وبدعتهم بقايا لم يوفق للنزوع عنها[٤] ، فوجب تكفيرهم وتكفير شيعتهم[٥] من المتفلسفة الإسلاميين ، كابن

---

(١) في (ط . ع) : فينعدم

(٢) في (ع) و(د) : وخمر لهم مالم يكن مخمراً

(٣) قرآن كريم سورة « الاحزاب » الآية ٢٥

(٤) في(ع): منها

(٥) في (ع) و(د): متبعيهم

سينا [١] والفارابي [٢] وغيرهما [٣] . على أنه لم يقم بنقل علم أرسطاطاليس أحد من متفلسفة الإسلاميين كقيام هذين الرجلين . وما نقله غيرهما [٤] ليس يخلو عن تخبيط وتخليط يتشوش فيه قلب المطالع حتى لا يفهم ؛ وما لا يُفهم كيف يُرد أو يقبل ؟ ومجموع ما صح عندنا من فلسفة أرسطاطاليس ، بحسب نقل هذين الرجلين ، ينحصر في ثلاثة اقسام :

١ . قسم يجب التكفير به ؛ ٢ . — وقسم يجب التبديع به ؛ ٣ . — وقسم لا يجب إنكاره أصلًا ، فلنفصّله .

---

(١) ابن سينا (٣٧٠ — ٤٢٨ هـ) ويسميه الفرنج Avicenne : فيلسوف عربي ، تقرب فلسفته من فلسفة أرسطو وربما كانت مشتملة ايضاً على كثير من الاصول الافلاطونية . كان فيلسوفاً عظيما كما كان طبيباً حاذقاً وكتابه « القانون » بقي قانون اوربا الطبي قروناً عديدة ، وله غيره من الكتب الشهيرة كتابا «النجاة» و«الشفاء»

راجع : جميل صليبا : « من افلاطون الى ابن سينا » مكتب النشر العربي بدمشق و« ابن سينا : درس تحليل منتخبات» مكتب النشر العربي بدمشق

(٢) الفارابي (٢٦٠ — ٣٣٩ هـ) أحد اعلام الفلسفة الاسلامية ، فارسي الاصل ، رحل في صباه الى بغداد ، ثم التحق بحاشية سيف الدولة وبقي عنده الى ان مات وكان له فضل عظيم على فلسفة ارسطو ، فقد اكب على نقلها للعربية ، وسمي لذلك بالمعلم الثاني ، لان ارسطو معروف باسم المعلم الاول . وقد بلغتنا كتب ارسطو منقولة الى اللغات الاوربية القديمة والحديثة على النمط الذي اختاره الفارابي ، وقد كان فوق هذا كله موسيقياً بارعاً . والمشهور انه هو الذي اخترع الآلة المعروفة «بالقانون» . وقد عرض الفارابي في قسم من مؤلفاته فلسفته الخاصة ، ولكن لم يصلنا من تلك المؤلفات الا القليل . وقد نشر (ديترشي Dieterici) في لندن سنة ١٨٩٠ ثماني رسائل معنونة بـ (مباحث فلسفية للفارابي Al Farabi's philosophische Abhandlungen والظاهر من فلسفته الخاصة أنه جمع فيها بين فلسفة أرسطو والافلاطونية الحديثة بمهارة فائقة ودقة تامة .

(٣) في (ط.د) : وامثالهم

(٤) في (ط) : غيرهم

أقسام علومهم

اعلم : أن علومهم بالنسبة إلى الغرض الذي نطلبه ستة اقسام : رياضية ، ومنطقية ، وطبيعية ، وإلهية ، وسياسية ، وخُلُقية .

١ . — أما الرياضية : فتتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم ، وليس يتعلق شيء منها [١] بالأمور الدينية نفياً وإثباتاً ، بل هي أمور برهانية لاسبيل إلى مجاحدتها بعد فهمها ومعرفتها . وقد تولدت منها آفتان :

احداهما أن : من ينظر فيها يتعجب [٢] من دقائقها ومن ظهور براهينها ، فيحسن بسبب ذلك اعتقادُه في الفلاسفة ، ويحسب [٣] أن جميع علومهم في الوضوح [وفي] وثاقة البرهان كهذا العلم . ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع ماتداولته الألسنة [٤] ، فيكفر بالتقليد المحض ويقول : لو كان الدين حقاً لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم في هذا العلم !فإذا عرف بالتسامع كفرهم وجحدهم ، استدل [٥] على ان الحق هو الجحد والإنكار للدين . وكم رأيت من يضل [٦] عن الحق بهذا العذر [٧] ولا مستند له سواه ! وإذا قيل له : الحاذق في صناعة واحدة ليس يلزم أن يكون حاذقاً في كل صناعة ، فلا يلزم أن يكون الحاذق في الفقه والكلام حاذقاً في الطب [٨] ، ولا

---

(١) في (ط) و(د) : منه شيء

(٢) في (ع) : الاولى من ينظر فيها يتعجب

(٣) في (ط) : فيحسب

(٤) في (ع.د): ماتناولته الالسن

(٥) في (ط.ع) : فيستدل

(٦) في (ع) : ممن ضل

(٧) في (ط ع) : القدر

(٨) في (د) : الحاذق في الطب والكلام حاذقاً في الفقه والمنطق .

أن يكون الجاهل بالعقليات جاهلاً بالنحو ، بل لكل صناعة أهل بلغوا فيها [رتبة] البراعة والسّبق ، وإن كان الحمق والجهل (قد) يلزمهم في غيرها . فكلام الاوائل في الرياضيات برهاني ، وفي الإلهيات تخميني ؛ لايعرف ذلك إلا من جرّبه وخاض فيه . فهذا إذا قرر على هذا الذي أَلحَدَ[١] بالتقليد ، لم يقع منه موقع القبول ، بل تحمله غلبة الهوى ، والشهوة الباطلة[٢] ، وحب التكايس على أن يُصرّ على تحسين الظن بهم في العلوم كلها .

فهذه آفة عظيمة لأجلها يجب زجر كل من يخوض في تلك العلوم ، فانها وإن لم تتعلق بأمر الدين ، ولكن لما كانت من مبادىء علومهم سرى[٣] اليه شرهم وشؤمهم ، فقل من يخوض فيها الا وينخلع من الدين وينحل عن رأسه لجام التقوى .

الآفة الثانية : نشأت من صديق للاسلام جاهل ، ظن ان الدين ينبغي أن ينصر بإنكار كل علم منسوب اليهم : فأنكر جميع علومهم وادعى جهلهم فيها حتى أنكر قولهم في الكسوف والخسوف ، وزعم أن ماقالوه على خلاف الشرع فلما قرع ذلك سمع[٤] من عرف ذلك بالبرهان القاطع ، لم يشك في برهانه ، ولكن اعتقد أن الاسلام مبني على الجهل وإنكار البرهان القاطع ، فازداد[٥] للفلسفة حباً وللاسلام بغضاً ؛ ولقد عظم على الدين جناية من ظن أن الاسلام ينصر بإنكار هذه العلوم ، وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفي والاثبات ، ولا في هذه العلوم تعرض للامور الدينية . وقوله : صلى الله عليه وسلم[٦] : «إن الشمس والقمر

---

(١) في (ط.ع) : اتخذ
(٢) في (ط.ع) : شهوة البطالة
(٣) في (ط . ع) : يسري
(٤) في (ع) : يسمع
(٥) في (ع) : فيزداد .
(٦) في (ط.ع) : عليه السلام

آيتان من آيات الله (تعالى) لا ينخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله (تعالى والى الصلاة)» [١] ، ليس في هذا ما يوجب انكار علم الحساب المعرف بمسير [٢] الشمس والقمر واجتماعهما او مقابلتهما على وجه مخصوص . أما قوله (عليه السلام) : « لكن الله اذا تجلى لشيء خضع له » فليس توجد هذه الزيادة في الصحيح [٣] أصلًا . فهذا حكم [٤] الرياضيات وآفتها .

٢ — وأما المنطقيات : فلايتعلق شيء منها بالدين نفياً واثباتا ، بل هي النظر في طرق [٥] الادلة [٦] والمقاييس [٧] ، وشروط مقدمات البرهان [٨] وكيفية تركيبها ، وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبه [٩] . وأن العلم اما تصور [١٠] وسبيل معرفته الحد [١١] ، واما تصديق [١٢] وسبيل معرفته البرهان ، وليس في هذا ما ينبغي أن ينكر ، بل هو (من) جنس ماذكره المتكلمون وأهل النظر

---

(١) ورد هذا الحديث في الجامع الصغير بالنص التالي : « ان الشمس والقمر لاينكسفان لموت احد ولا لحياته ، ولكنهما آيتان من آيات الله يخوف بهما عباده . فاذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا حتى ينكشف مابكم .»

(٢) في (د): لمسير

(٣) في (ط.ع): الصحاح

(٤) في (ع) : حكمة

(٥) في (ط) : بل هو النظر في طرفي

(٦) الدليل في الاصطلاح : هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر

(٧) القياس : قول مؤلف من قضايا اذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر

(٨) البرهان هو القياس المؤلف من اليقينيات .

(٩) في (ع): ترتيبها، وفي (د) : تركيبها

(١٠) التصور هو ادراك الماهية بدون ان يحكم عليها ينفي او اثبات

(١١) الحد لغة المنع ، وفي الاصطلاح : قول دال على ماهية الشيء وهو الذي يتركب من جنس الشيء وفصله القريبين كقولك « الانسان حيوان ناطق » فالجنس هو الحيوان ، والفصل (اي مايميزه من غيره) هو النطق

(١٢) هو التصور الذي معه حكم ، وهو اسناد امر الى آخر سلباً او ايجاباً .

في الادلة ، وانما يفارقونهم بالعبارات والاصطلاحات ، وبزيادة الاستقصاء في في التعريفات والتشعيبات ؛ ومثال كلامهم فيها [١] قولهم : اذا ثبت أن كل «ا» «ب» لزم ان بعض «ب» «ا» ، أي اذا ثبت أن كل انسان حيوان ، لزم أن بعض الحيوان انسان . ويعبرون عن هذا بأن الموجبة الكلية تنعكس موجبة جزئية [٢] . وأي تعلق لهذا بمهمات الدين حتى يجحد وينكر ؟ فإذا [٣] انكر لم يحصل من انكاره عند اهل المنطق الا سوء الاعتقاد في عقل المنكر ، بل في دينه الذي يزعم انه موقوف على مثل هذا الانكار ، نعم لهم نوع من الظلم في هذا العلم ؛ وهو أنهم يجمعون للبرهان شروطاً يعلم انها تورث اليقين لا محالة ، لكنهم عند الانتهاء الى المقاصد الدينية ما امكنهم الوفاء بتلك الشروط ، بل تساهلوا غاية التساهل ؛ وربما ينظر في المنطق ايضاً من يستحسنه ويراه واضحاً ، فيظن ان ماينقل عنهم من الكفريات مؤيد بمثل تلك البراهين ، فيستعجل [٤] بالكفر قبل الانتهاء الى العلوم الالهية .

فهذه الآفة ايضاً متطرقة اليه ؛

٣ — واما (علم) **الطبيعيات** فهو بحث عن عالم [٥] السماوات وكواكبها وما تحتها من الاجسام المفردة : كالماء والهواء والتراب والنار ، ومن الاجسام

---

(١) في (ع) : فيه

(٢) يشير الغزالي هنا الى بحث القضايا المعروف في منطق ارسطو . فقد قالوا : « القضية قول يصح ان يقال لقائله انه صادق فيه او كاذب » وقسموها قسمين : ١ . — موجبة كقولك زيد كاتب ، ٢. — سالبة كقولك زيد ليس بكاتب . والموجبة اما ان تكون : ١. جزئية ، كقولك : بعض الانسان طبيب ، ٢ . كلية ، كقولك ، كل انسان فان . وكذلك السالبة فاما ان تكون : ١. جزئية ، كقولك بعض الناس ليس طبيباً ٢. — كلية ، كقولك : مامن انسان خالد

(٣) في (د) : واذا

(٤) في (ط ، ع) : فاستعجل

(٥) في (ع) : اجسام العالم ، وفي (د) : اجسام عالم السماوات

المركبة : كالحيوان والنبات والمعادن ، وعن اسباب تغيرها واستحالتها وامتزاجها . وذلك يضاهي بحث الطب [١] عن جسم الانسان ، واعضائه الرئيسة والخادمة ، واسباب استحالة مزاجه [٢] وكما ليس من شرط الدين انكار علم الطب ، فليس من شرطه ايضاً انكار ذلك العلم ، الا في مسائل معينة ، ذكرناها في كتاب « تهافت الفلاسفة » . وما عداها مما يجب المخالفة فيها ، فعند التأمل يتبين انها مندرجة تحتها ، واصل جملتها ان تعلم ان الطبيعة مسخرة لله تعالى ، لا تعمل بنفسها ، بل هي مستعملة من جهة فاطرها . والشمس [٣] والقمر والنجوم والطبائع مسخرات بأمره لا فعل لشيءٍ منها بذاته عن ذاته ؛

٤ — وأما **الالهيات** ففيها اكثر اغاليطهم ، فما قدروا على الوفاء بالبرهان [٤] على ماشرطوه في المنطق ، ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيها [٥] ولقد قرب مذهب أرسطاطاليس [٦] فيها من مذاهب الاسلامين ، على مانقلة الفارابي وابن سينا ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلاً ، يجب تكفيرهم في ثلاثة منها ، وتبديعهم في سبعة عشر . ولابطال مذهبهم في هذه المسائل العشرين ، صنّفنا [٧] كتاب « التهافت » . أما المسائل الثلاث ، فقد خالفوا فيها كافة الاسلاميين [٨] وذلك في قولهم :

---

(١) في (ع . د) : الطبيب

(٢) في (ط) : مزاجها

(٣) في (د) : فالشمس

(٤) في (ط . ع) : بالبراهين

(٥) في (ع) : فيه

(٦) في (ع) و(د) : ولقد قرب ارسطا طاليس مذهبه

(٧) في (د) : صنفت

(٨) في (ط . ع) : المسلمين

١ — إن الاجساد لا تحشر ، وإنما المثاب والمعاقب هي الارواح المجردة ، (والمثوبات) والعقوبات روحانية لاجسمانية ؛

ولقد صدقوا في إثبات الروحانيه ، فإنها ثابتة[١] أيضاً ، ولكن كذبوا في إنكار الجسمانية ، وكفروا بالشريعة فيما نطقوا به ؛

٢ — ومن ذلك قولهم : « إن الله تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات » ؛ وهذا[٢] أيضاً كفر صريح ، بل الحق أنه : « لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض[٣] »

٣ — ومن ذلك قولهم بقدم العالم وأزليته فلم[٤] يذهب أحد من المسلمين إلى شيء من هذه المسائل .

وأما ماوراء ذلك من نفيهم الصفات ، وقولهم انه عالم[٥] بالذات ، لا بعلم زائد (على الذات) ومايجري مجراه ، فمذهبهم فيها قريب من مذهب المعتزلة[٦]

---

(١) في (ط .ع) : كائنه

(٢) في (ع) و(د) فهو

(٣) قرآن كريم سورة «سبأ» الآية ٣

(٤) في (د) : ولم

(٥) في (ط.ع) : عليم

(٦) المعتزلة من اعظم الفرق الاسلامية التي تركت اثراً جليلا واضحاً في حياة المسلمين العقلية . ذكروا في تاريخ نشأتها أن واصلا بن عطاء كان يجلس الى الحسن البصري . وكان من جملة ما اختلف فيه الخوارج والجماعة ، أن الخوارج قالوا بتكفير مرتكب الكبائر ، وقالت الجماعة بأنه مؤمن الا انه فاسق . ولم يكن بد من ان يشترك واصل في ذلك ، فكان ذلك بخروجه عن الفريقين وقوله : « ان الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر ، بل له منزلة بين المنزلتين . » فطرده الحسن من مجلسه فاعتزل عنه وجلس اليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولاتباعهما « معتزلون »

هذا هو الرأي المشهور في ظهور هذه الفرقة ، وهناك آراء أخرى تجدها في الكتب التي بحثت عن الفرق الاسلامية . وتجدها مجملة في فجر الاسلام ص ٣٤٤ ط ١

وتتلخص تعاليم المعتزلة في الاصول الآتية :

ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل ذلك . وقد ذكرنا في كتاب « فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة » ما يتبين به [١] فساد رأي من يتسارع الى التكفير في كل ما يخالف مذهبه .

٥ . — وأما **السياسيات** فجميع [٢] كلامهم فيها يرجع الى الحكم المصلحية المتعلقة بالامور الدنيوية (والإيالة) السلطانية ، وإنما أخذوها من كتب الله

---

١ — القول بالمنزلة بين المنزلتين ، اي ان مرتكب الكبيرة ليس بكافر ولامؤمن ، لكنه فاسق ، والفاسق يستحق النار بفسقه .

٢ — القول بالقدر وأن الله لايخلق افعال الناس وانما هم الذين يخلقون اعمالهم ، وانهم من اجل ذلك يثابون اويعاقبون ، ولهذا وحده يستحق ان يوصف الله بالعدل .

٣ — القول بالتوحيد ، فنفوا ان يكون لله تعالى صفات ازلية من علم وقدرة وحياة ، وسمع وبصر غير ذاته ، بل الله عالم وقادر وحي وسميع وبصير بذاته ، وليست هناك صفات زائدة على ذاته ، والقول بوجود صفات قديمة قول بالتعدد ولا كثرة في ذاته البتة وهذا ماشار اليه الغزالي .

٤ — قولهم بسلطة العقل وقدرته على معرفة الحسن والقبيح ، ولو لم يرد بهما شرع ، والشرع لم يجعل الشيء حسناً بامره به ولا القبيح قبيحاً بنهيه عنه ، بل الشرع انما امر بالشيء الحسن ونهى عن الآخر لقبحه .

هذا من حيث العقائد ، الا أننا نجدهم من ناحية اخرى تعرضوا للامور السياسية التي سبقت عصرهم فأباحوا لانفسهم تشريح الصحابة ونقدهم والحكم على اعمالهم وحروبهم .

وكان المعتزلة اسرع الفرق للاستفادة من الفلسفة اليونانية وصبغها صبغة اسلامية ، والاستعانة بها على نظرياتهم وجدلهم ، وهم الذين خلقوا علم الكلام في الاسلام ، وهم اول من تسلح من المسلمين بسلاح خصومهم في الدين .

وقد لعب المعتزلة في ايام المأمون والمعتصم دوراً هاماً اذ كان مذهبهم هو الرسمي وقد حملوا الناس على الاخذ بفكرة خلق القرآن .

(راجع «تاريخ الجهمية والمعتزلة» للقاسمي)

(١) في (ط.ع) : فيه

(٢) في (ع) : فمجموع

المنزلة على الانبياء ، ومن الحكم المأثورة عن سلف الانبياء[١] ؛

٦ . — وأما **الخلقية** : فجميع كلامهم (فيها) يرجع الى حصر صفات النفس وأخلاقها ، وذكر أجناسها وأنواعها وكيفية معالجتها ومجاهدتها ، وإنما أخذوها من كلام الصوفية ، وهم المتألهون المواظبون على ذكر الله تعالى، وعلى مخالفة الهوى وسلوك الطريق الى الله تعالى بالإعراض عن ملاذّ الدنيا . وقد انكشف لهم في مجاهدتهم[٢] من أخلاق النفس وعيوبها، وآفات أعمالها ماصرحوا بها ، فأخذها الفلاسفة ومزجوها بكلامهم، توسلاً بالتجمل بها الى ترويج باطلهم. ولقد كان في عصرهم ، بل في كل عصر جماعة من المتألهين ، لا يُخلي الله [سبحانه] العالم عنهم ، فإنهم أوتاد الارض، وبركاتهم تنزل الرحمة على أهل الارض كما ورد في الخبر حيث قال (صلى الله عليه وسلم) : « بهم تمطرون وبهم ترزقون ومنهم كان أصحاب الكهف[٣] » . وكانوا في سالف الأزمنة ، على ما نطق به القرآن، فتولد من مزجهم كلام النبوة وكلام الصوفية بكتبهم آفتان : آفة في حق القابل، وآفة في حق الراد :

١ . — أما **الآفه التي في حق الراد**[٤] **فعظيمة** : إذ ظنت طائفة من الضعفاء أن ذلك الكلام إذا كان مُدوَنا في كتبهم ، وممزوجاً بباطلهم ، ينبغي أن يُهجر ولا يُذكر بل يُنكر على [كل] من يذكره ، إذ لم يسمعوه أولاً إلا منهم ، فسبق الى عقولهم الضعيفة انه باطل ، لان قائله مُبطل ؛ كالذي يسمع من النصراني قول : « لا إله إلا الله ، عيسى رسول الله » ، فينكره ويقول : « هذا كلام النصارى » ؛ ولا يتوقف ريثما يتأمل أن النصراني كافر باعتبار هذا

---

(١) في (د): الانبياء عليهم السلام

(٢) في (ع) و(د) : حالاتهم

(٣) لم نعثر في كتب الحديث الشهيرة على هذا الحديث ولكن وجدنا في الجزء ٣ ص ٢٠٧ من البخاري مايقرب من معناه ، اذ قال عليه السلام «هل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم؟»

(٤) في (ع) و(د) : اما آفته في حق من رده .

القول ، أو باعتبار انكاره نبوة محمد عليه الصلاة والسلام !؟ فإن لم يكن كافراً الا باعتبار انكاره ، فلا ينبغي أن يخالف في غير ماهو به كافر مما هو حق في نفسه ، وان كان ايضاً حقاً عنده . وهذه عادة ضعفاء العقول ، يعرفون الحق بالرجال ، لا الرجال بالحق . والعاقل يقتدي بسيد العقلاء علي رضي الله عنه[١]، حيث قال : « لاتعرف الحق بالرجال (بل) اعرف الحق تعرف أهله » و (العارف) العاقل يعرف الحق ، ثم ينظر في نفس القول : فإن كان حقاً ، قبله سواء كان قائله مبطلاً أو محقاً ؛ بل ربما يحرص على انتزاع الحق من أقاويل[٢] أهل الضلال ، عالماً بأن معدن الذهب الرغام . ولا بأس على الصراف ان ادخل يده في كيس القلاب [٣] ، وانتزع الإبريز الخالص من الزيف والبهرج [٤]، مهما كان واثقاً ببصيرته ؛ وانما يزجر عن معاملة القلاب القروي ، دون الصيرفي (البصير) ؛ ويمنع من ساحل البحر الأخرق ، دون السباح الحاذق ؛ ويُصد عن مس الحية الصبي دون المعزم [٥] البارع .

ولعمري ! لما غلب على اكثر الخلق ظنهم بأنفسهم الحذاقة والبراعة ، وكمال العقل (وتمام الآلة) في تمييز الحق عن (الباطل ، والهدى عن) الضلالة ، وجب حسم الباب[٦] في زجر الكافة عن مطالعة كتب أهل الضلال [٧] ما أمكن ، اذ لا يسلمون عن الآفة الثانية التي سنذكرها (أصلاً) ، وان سلموا عن (هذه) الآفة التي ذكرناها .

---

(١) في (ط) : والعاقل يقتدي [بقول أمير المؤمنين] علي [بن ابي طالب]رضي الله عنه

(٢) في (ط د) : من تضاعيف كلام

(٣) القلاب : هو الرجل الذي تكون منه السقطة فيتداركها بأن يقلبها عن جهتها ويصرفها الى غير معناها . هذا هو المعنى الاصلي لهذه اللفظة ، والظاهر هنا ان الغزالي يريد بها مزيفي النقود كما هو الراجح من السياق .

(٤) في (ط) : التبهرج .

(٥) المعزم : الراقي ، اي الذي يقرأ الرقى .

(٦) في (ط) : المادة .

(٧) في (ط) : الضلالة .

ولقد اعترض على بعض الكلمات المبثوثة في تصانيفنا في اسرار علوم الدين، طائفة من الذين لم تستحكم في العلوم سرائرهم، ولم تنفتح الى اقصى غايات المذاهب بصائرهم، وزعمت أن تلك الكلمات من كلام الاوائل، مع ان بعضها[١] من مولدات الخواطر، ولا يبعد ان يقع الحافر على الحافر؛ وبعضها يوجد في الكتب الشرعية، واكثرها موجود معناه في كتب الصوفية. وهب أنها لم توجد الا في كتبهم، فإذا كان ذلك الكلام معقولاً في نفسه، مؤيداً بالبرهان ولم يكن على مخالفة الكتاب والسنة، فلم ينبغي ان يهجر ويترك[٢]! فلو فتحنا هذا الباب، وتطرقنا الى ان يهجر كل حق سبق اليه خاطر مبطل، للزمنا ان نهجر كثيراً من الحق، ولزمنا ان نهجر جملة[٣] آيات من آيات القرآن واخبار الرسول وحكايات السلف، وكلمات الحكماء والصوفية لأن صاحب كتاب « اخوان الصفا »[٤] اوردها في كتابه مستشهداً بها ومستدرجاً قلوب الحمقى بواسطتها الى باطله، ويتداعى ذلك إلى أن يستخرج المبطلون الحق من أيدينا بايداعهم إياه كتبهم[٥]. وأقل درجات العالم: أن يتميز عن العامي الغُمر[٦]،

---

(١) سقط من (د)، (٢) في (ع): ينكر، (٣) في (د): جملة من آيات القرآن

(٤) اخوان الصفاء وخلان الوفاء: جمعية سرية تألفت في منتصف القرن الرابع في البصرة وعرف لها فرع في بغداد. نشأت في وقت كانت فيه كلمة فيلسوف تساوي بمفهومها معنى زنديق مارق. تستر أصحابها ما أمكنهم التستر لنشر آرائهم واذاعة معتقداتهم بين الناس، خوفاً على حياتهم من أن يصيبها سهم أعدائهم. وأساس مذهب هذه الجماعة: « ان الشريعة الاسلامية تدنست بالجهالات، واختلطت بالضلالات، ولاسبيل الى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة، لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية، وانه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة المحمدية فقد حصل الكمال.» وتعد رسائل إخوان الصفاء موسوعة فلسفية علمية صاغها أصحابها في قالب أدبي بديع. وهي اثنتان وخمسون رسالة تطرق أصحابها لذكر جميع العلوم والمعارف الطبيعية والرياضية والفلسفية والإلهية والعقلية في كل هذه الرسائل، إلا الأخيرة وهي الرسالة الجامعة فقد أجملوا خلاصة فلسفتهم فيها.

طبعت هذه الرسائل للمرة الأولى في الهند ١٨١٢ م ثم طبع المستشرق الألماني ديتريشي خلاصة عنها سنة ١٨٨٦ م في برلين، وفي سنة ١٩٢٨ م ظهرت لها طبعة تامة في مصر.

(٥) في (ع): إياها كتبهم (٦) الغمر: الجاهل.

فلا يعاف العسل ، وإن وجده في محجمة الحجّام ، ويتحقق أن المحجمة لا تغير ذات العسل ، فان نفرة الطبع عنه مبنية على جهل عامي منشؤه أن المحجمة ، إنما صنعت للدم المستقذَر ، فيظن أن الدم مستقذر لكونه في المحجمة ، ولا يدري أنه مستقذر لصفة في ذاته ؛ فاذا عدمت (هذه) الصفة في العسل ، فكونه في ظرفه لا يكسبه تلك الصفة ، فلا ينبغي أن يوجب له الاستقذار ، وهذا وهم باطل ، وهو غالب على أكثر الخلق. فاذا[1] نسبت الكلام وأسندته الى قائل حسن فيه اعتقادهم ، قبلوه وإن كان باطلاً ؛ وإن أسندته الى من ساء فيه اعتقادهم ردوه وان كان حقاً . فأبداً يعرفون الحق بالرجال ولا يعرفون الرجال بالحق ، وهو غاية الضلال ! هذه آفة الرد.

٢ — **والآفة الثانية آفة القبول** : فان من نظر في كتبهم « كاخوان الصفا » وغيره ، فرأى ما مزجوه بكلامهم من الحكم النبوية ، والكلمات الصوفية ، ربما استحسنها وقبلها ، وحسن اعتقاده فيها ، فيسارع الى قبول باطلهم الممزوج به ، لحسن ظن حصل فيما[2] رآه واستحسنه ، وذلك نوع استدراج الى الباطل.

ولاجل هذه الآفة يجب الزجر عن مطالعة كتبهم لما فيها من الغدر[3] والخطر . وكما يجب صون من لا يحسن السباحة عن مزالق الشطوط ، يجب صون الخلق عن مطالعة تلك الكتب . وكما يجب صون الصبيان عن مس الحيات ، يجب صون الاسماع عن مختلط[4] تلك الكلمات ، وكما يجب على المعزم أن لا يمس الحية بين يدي ولده الطفل ، إذا علم أنه سيقتدي به ويظن أنه مثله ، بل يجب عليه أن يحذره [منه] ، بأن يحذر هو [في] نفسه [ولا يمسها] بين يديه ، فكذلك يجب على العالم الراسخ مثله . وكما أن المعزِّم الحاذق اذا أخذ الحية وميز بين الترياق والسم ، واستخرج منها[5] الترياق وأبطل السم ، ليس له أن فليشح بالترياق على المحتاج اليه . وكذا الصراف الناقد البصير إذا أدخل يده في كيس القلاب ،

---

(١) في (ط.ع): فيها (٢) في (د) : لحسن ظنه مما رآه واستحسنه .
(٣) في ط : الغرور . (٤) في (د) : تخليط (٥) في (ط.ع) : فاستخرج منه

وأخرج منه الإبريز الخالص ، واطرح [١] الزيف والبهرج ،فليس له أن يشح بالجيد المرضي على من يحتاج اليه ؛ فكذلك العالم . وكما أن المحتاج الى الترياق ، اذا اشمأزت نفسه منه ، حيث علم أنه مستخرج من الحية التي هي مركز السم [وجب تعريفه] ، والفقير المضطر الى المال،اذا نفر عن قبول الذهب المستخرج من كيس القلاب ، وجب تنبيهه على أن نفرته جهل محض، هو سبب حرمانه الفائدة التي هي مطلبه ، وتحتم تعريفه أن قرب الجوار بين الزيف والجيد لا يجعل الجيد زيفاً ، كما لا يجعل الزيف جيداً ، فكذلك قرب الجوار بين الحق والباطل ، لا يجعل الحق باطلاً ، كما لا يجعل الباطل حقاً .

فهذا (مقدار) [٢] ما أردنا ذكره من آفة الفلسفة وغائلتها .

---

(١) في (ط): واخرج وفي (د): طرح. (٢) سقط من (د)

٣ — مذهب التعليم[١] وعقائده

ثم اني لما فرغت من علم الفلسفة وتحصيله وتفهمه وتزييف ما يزيف منه ، علمت ان ذلك ايضاً غير واف بكمال الغرض ، وان العقل ليس مستقلاً بالاحاطة بجميع المطالب ، ولا كاشفاً للغطاء عن جميع المعضلات. وكان قد نبغت نابغة التعليمية ، وشاع بين الخلق تحدثهم[٢] بمعرفة معنى الامور من جهة الامام المعصوم القائم بالحق ، فعنّ لي ان ابحث في مقالاتهم ، لأطلع على ما في كنانتهم[٣]. ثم اتفق ان ورد عليّ امر جازم من حضرة الخلافة ، بتصنيف كتاب يكشف

---

(١) مذهب التعليم ، ويدعى الباطنية : وهو عقيدة إحدى الفرق التي تنسب نفسها إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، ولذلك يسمون أنفسهم « الاسماعيلية » . كان بدء ظهوره دينياً محضاً فقرر : «إن لكل ظاهر باطناً ، ولكل شرع تأويلاً . » وقد عرف بأسماء عديدة ، منها : القرامطة ، والمزدكية ، والملحدة . وقد خلط القدماء منهم كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على ذلك المنهاج . ومن جملة ما قالوا في الله تعالى : « إنا لانقول هو موجود ، ولا لاموجود ؛ ولا عالم ولا جاهل ... »

(ا هـ ، ملخصاً عن الملل والنحل للشهرستاني)

هذه بعض عقائدهم الدينية التي كانت منشأ هذه الفرقة ، إلا أنها بدأت بعد ذلك تأخذ صبغة سياسية ، واخذ اصحابها يتحدون الخلق بالإمام المعصوم ؛ وقد فطن نظام الملك إلى ما يتهدد مركز الخلافة من جراء هذه التعاليم ، وأخصها من الوجهة السياسية فكرة الامام المعصوم ، فرغب الى الغزالي بالرد عليهم . وقد ذكر الغزالي ذلك ولم يناقشهم في هذا الفصل الا في فكرة الامام المعصوم .

راجع لزيادة الايضاح عن تاريخ هذه الفرقة كتاب «الفرق بين الفرق» للبغدادي ص ٢٦٠ ومابعدها .

(٢) في (ع .د) : تحديهم (٣) في (ط.ع) : كتبهم .

[عن] حقيقة مذهبهم . فلم يسعني مدافعته، وصار ذلك مستحثاً من خارج ، ضميمة للباعث الاصلي من الباطن ، فابتدأت[١] بطلب كتبهم وجمع مقالاتهم . وكان قد بلغني بعض كلماتهم المستحدثة التي ولدتها خواطر اهل العصر ، لا على المنهاج المعهود من سلفهم . فجمعت تلك الكلمات ، (ورتبتها)[٢] ترتيباً محكماً مقارناً للتحقيق ، واستوفيت الجواب عنها ، حتى أنكر بعض اهل الحق (مني) مبالغتي في تقرير حجتهم ، فقال : « هذا سعي لهم ، فانهم كانوا يعجزون عن نصرة مذهبهم بمثل هذه الشبهات لولا تحقيقك لها ، وترتيبك إياها ». وهذا الانكار من وجه حق ، فلقد أنكر احمد ابن حنبل[٣] على الحارث المحاسبي (رحمهما الله) ، تصنيفه في الرد على المعتزلة ؛ فقال الحارث : «الرد على البدعة فرض» فقال احمد : « نعم ، ولكن حكيت شبهتهم اولاً ثم اجبت عنها ؛ فبمَ تأمن ان يطالع الشبهة من يعلق ذلك بفهمه ، ولا يلتفت الى الجواب ، او ينظر في الجواب ، ولا يفهم كنهه ؟ » .

وما ذكره احمد بن حنبل حق ، ولكن في شبهة (لم تنتشر[٤]) ولم تشتهر فأما اذا انتشرت ، فالجواب عنها واجب ولا يمكن الجواب [عنها] إلا بعد الحكاية . نعم ، ينبغي ان لا يتكلف لهم شبهة لم [يتكلفوها][٥] ؛ ولم اتكلف انا ذلك ، بل كنت قد سمعت تلك الشبهة من واحد من اصحابي المختلفين إلي ، بعد ان كان قد التحق بهم ، وانتحل مذهبهم ، وحكى انهم يضحكون على تصانيف المصنفين في الرد عليهم ، بأنهم لم يفهموا بعد حجتهم . ثم ذكر تلك الحجة وحكاها عنهم ، فلم ارض لنفسي ان يظن بي الغفلة عن اصل حجتهم ، فلذلك اوردتها ، ولا ان يظن بي اني — وان سمعتها — لم افهمها ، فلذلك قررتها .

---

(١) في (ط.د) : فانتدبت . (٢) سقط من (د)

(٣) احمد بن حنبل (١٦٤ — ٢٤١ هـ) أحد الائمة الاربعة . عرف بمعارضته للمعتزلة في قولهم بخلق القرآن فعذب ايام المأمون .

(٤) سقط من (د) (٥) في (ط.ع) : لم يتكلف ايرادها

والمقصود ، اني قررت شبهتهم الى اقصى الامكان ، ثم اظهرت فسادها [بغاية البرهان] .

والحاصل : أنه لاحاصل عند هؤلاء ولا طائل لكلامهم. ولولا سوء نصرة الصديق الجاهل ، لما انتهت تلك البدعة — مع ضعفها — الى هذه الدرجة؛ ولكن شدة التعصب ، دعت الذابين عن الحق الى تطويل النزاع معهم في مقدمات كلامهم ، والى مجاحدتهم في كل ما نطقوا به ، فجاحدوهم في دعواهم : «الحاجة الى التعليم والمعلم . »، وفي دعواهم أنه : « لايصلح كل معلم ، بل لابدمن معلم معصوم . » وظهرت حجتهم في اظهار الحاجة الى التعليم والمعلم ، وضعف قول المنكرين في مقابلته ، فاغتر بذلك جماعة وظنوا أن ذلك من قوة مذهبهم وضعف مذهب المخالفين لهم ، ولم يفهموا أن ذلك لضعف ناصر الحق وجهله بطريقه ؛ بل الصواب الاعتراف بالحاجة الى المعلم[1]، وانه لابد وأن يكون (المعلم) معصوماً ، ولكن معلمنا المعصوم (هو) محمد ﷺ فإذا قالوا : « هو ميت»، فنقول: « ومعلمكم غائب . »، فإذا قالوا : «معلمنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد ، وهو ينتظر مراجعتهم إن اختلفوا أو اشكل عليهم مشكل.» فنقول : « ومعلمنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد واكمل التعليم اذ قال الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم [وأتممت عليكم نعمتي][2] » . وبعد كمال التعليم لايضر موت المعلم كما لا يضر غيبته .

فبقى قولهم : «كيف تحكمون في ما لم تسمعوه ؟ أبالنص ولم تسمعوه ، أم بالاجتهاد والرأي وهو مظنة الخلاف ؟ » فنقول : « نفعل مافعله معاذ[3] إذبعثه رسول الله عليه السلام إلى اليمن : أن نحكم بالنص عند وجود النص ،

(١) في (د) : التعلم، (٢) سورة « المائدة » الآية ٤

(٣) معاذ بن جبل : (١٧ ق . هـ — ١٧ هـ) يشير الغزالي الى الحوار الذي دار بينه وبين النبي عليه السلام قبل أن يبعثه الى اليمن قاضياً فقد سأله الرسول : « بم تقضي يامعاذ ؟ » فقال : « بما في كتاب الله . » قال « فإن لم تجد ؟ » قال : « بما في سنة رسول الله » قال : فإن لم تجد ؟ » قال : « أجتهد رأيي » فقال رسول الله : «الحمدلله الذي وفق رسول رسول الله لما يحب رسول الله . »

وبالاجتهاد عند عدمه . (بل) كما يفعله دعاتهم إذا بعدوا عن الإمام الى أقاصي البلاد [١] ، اذ لايمكنه ان يحكم بالنص [٢]، فإن النصوص المتناهية لاتستوعب الوقائع الغير المتناهية ، ولايمكنه الرجوع في كل واقعة الى بلدة الإمام ، والى أن يقطع المسافة ويرجع فيكون المستفتي قد مات ، وفات الانتفاع بالرجوع. فمن أشكلت عليه القبلة ليس له طريق الا أن يصلي بالاجتهاد ، اذ لو سافر الى بلدة الإمام لمعرفة القبلة ، فيفوت وقت الصلاة . فإذن ، جازت الصلاة الى غير القبلة بناء على الظن . ويقال : « ان المخطىء في الاجتهاد له أجر واحد وللمصيب أجران » فكذلك في جميع المجتهدات ، وكذلك أمر صرف الزكاة الى الفقير ، فربما يظنه فقيراً باجتهاده وهو غني باطناً بإخفائه ماله ، فلا يكون مؤاخذاً به وان أخطأ [٣]، لانه لم يؤاخذ الا بموجب ظنه . فإن قال: « ظن مخالفه كظنه.» فأقول : « هو مأمور باتباع ظن نفسه ، كالمجتهد في القبلة يتبع ظنه وان خالفه غيره . » فإن قال : « فالمقلد يتبع أبا حنيفة [٤] و الشافعي [٥] (رحمهما الله) أم غيرهما » فأقول : فالمقلد في القبلة عند الاشتباه ، إذا اختلف عليه المجتهدون، كيف يصنع؟ » فسيقول : « له مع نفسه اجتهاد في معرفة الافضل الاعلم بدلائل القبلة ، فيتبع ذلك الاجتهاد ؛ فكذلك في المذاهب . »

---

(١) في(ع.د) : الشرق .

(٢) في(ط.ع): اذ لايمكنهم ان يحكموا بالنص .

(٣) في(ط.ع): ولايكون هو مؤاخذاً به وان اخطأ .

(٤) ابو حنيفة النعمان : (٨٠ - ١٥٠ هـ) هو الإمام الاعظم ، صاحب المذهب المقضي به الآن في أكثر الممالك الاسلامية .

فارسي الاصل ، نشأ بالكوفة وعاصر بعض الصحابة واشتغل بالفقه واستنبط فقهه من القرآن الكريم . رضي أن يعيش تاجر خزّ ورغب عن وظائف الملوك والخلفاء ، وعرض عليه القضاء أيام خلفاء بني أمية ثم أيام المنصور فأبى ، فسجنه وآذاه .

(٥) الشافعي : (١٥٠ - ٢٠٤ هـ) ولد بغزة من بلاد الشام : أنبغ من أنتجت قريش بعد عصر الصحابة . كان واسع العلم بالكتاب والسنة وكلام الصحابة وآثارهم واختلاف آراء العلماء ، ضليعاً بكلام العرب واللغة العربية والشعر. وهو مستنبط علم أصول الفقه وواضعه . أشهر مصنفاته كتاب « الام » في الفقه مطبوع في ٧ مجلدات .

فردّ الخلق الى الاجتهاد — ضرورة — الانبياء والائمة مع العلم بأنهم (قد)[١] يخطئون ، بل قال رسول الله ﷺ : « أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر[٢] . » أي انا أحكم بغالب الظن الحاصل من قول الشهود ، وربما أخطأوا فيه . ولا سبيل الى الامن من الخطإ للأنبياء في مثل هذه المجتهدات ، فكيف يطمع[٣] في ذلك ؟

ولهم ههنا سؤالان : أحدهما قولهم هذا وإن صح في المجتهدات فلايصح في قواعد العقائد ، اذ المخطىء فيه غير معذور ، فكيف السبيل اليه؟ فأقول: « قواعد العقائد[٤] يشتمل عليها الكتاب والسنة ؛ وما وراء ذلك من التفصيل ، والمتنازع فيه ، يعرف الحق فيه بالوزن بالقسطاس المستقيم . وهي الموازين التي ذكرها الله (تعالى)[٥] في كتابه ، وهي خمسة ذكرتها في كتاب القسطاس المستقيم . » فإن قال : « خصومك يخالفونك في ذلك الميزان . » فأقول : « لايتصور أن يفهم ذلك الميزان ثم يخالف فيه ، [اذ لايخالف فيه] أهل التعليم ، لاني استخرجته من القرآن وتعلمته منه ، ولا يخالف فيه أهل المنطق ، لانه موافق لما شرطوه في المنطق ، غير مخالف له ؛ ولا يخالف فيه المتكلم لانه موافق لما يذكره في أدلة النظريات ، وبه يعرف الحق في الكلاميات . » فإن قال : « فان كان في يدك مثل هذا الميزان فلم لاترفع الخلاف بين الخلق؟ » ، فأقول : « لو أصغوا الي لرفعت الخلاف بينهم ؛ وذكرت طريق رفع الخلاف في كتاب « القسطاس المستقيم » ، فتأمله لتعلم أنه حق وأنه يرفع الخلاف قطعاً لو أصغوا

---

(١) سقط من (د)

(٢) لا وجود لهذا القول في كتب الحديث . وجزم العراقي المحدث بأنه لا أصل له . وكذلك أنكره المزني وغيره وإن ذكره الفقهاء في كتبهم .

(٣) في (طع): نطمع

(٤) سقط من (د)

(٥) سقط من (د)

ولا يصغون [اليه] بأجمعهم ! بل قد أصغى الي طائفة ، فرفعت الخلاف بينهم . وامامك يريد رفع الخلاف بينهم مع عدم اصغائهم ، فلمَ لم يرفع الى الآن ؟ ولم لم يرفع علي رضي الله عنه وهو رأس الائمة ؟ او يدعي أنه يقدر على حمل كافتهم على الإصغاء قهراً ، فلم لم يحملهم الى الآن ؟ ولاي يوم اجله ؟ وهل حصل بين الخلق بسبب دعوته الا زيادة خلاف وزيادة مخالف ؟ نعم ! كان يخشى من الخلاف نوع من الضرر لاينتهي الى سفك الدماء ، وتخريب البلاد وايتام الاولاد ، وقطع الطرق [1] ، و الإغارة على الاموال . وقد حدث في العالم من بركات رفعكم الخلاف [من الخلاف] ما لم يكن بمثله عهد . فإن قال : « ادعيت أنك ترفع الخلاف بين الخلق ولكن المتحير بين المذاهب المتعارضة ، والاختلافات المتقابله ، لم يلزمه الإصغاء اليك دون خصمك ، واكثر الخصوم يخالفونك ، ولا فرق بينك وبينهم . » وهذا هو سؤالهم الثاني ، فأقول : « هذا اولاً ينقلب عليك ، فإنك اذا دعوت هذا المتحير الى نفسك فيقول المتحير ، بم صرت اولى من مخالفيك ، واكثر اهل العلم يخالفونك ؟ فليت شعري ! بماذا تجيب ؟ اتجيب بأن تقول : امامي منصوص عليه ؟ فمن [2] يصدقك في دعوى النص ، وهو لم يسمع النص من الرسول ؟ وانما يسمع دعواك مع تطابق اهل العلم على اختراعك وتكذيبك . ثم هب أنه سلم لك النص ؛ فإن كان متحيراً في اصل النبوة ، فقال : هب ان امامك يدلي بمعجزة عيسى عليه السلام فيقول : الدليل على صدقي أني أحيي أباك ، فأحياه ، فناطقني بأنه محق ، فبماذا اعلم صدقه ؟ ولم يعلم كافة الخلق صدق عيسى عليه السلام بهذه المعجزة ، بل عليه من الاسئلة المشكلة مالا يدفع الا بدقيق النظر العقلي ؛ والنظر العقلي لايوثق به عندك ، ولا يعرف دلالة المعجزة على الصدق ما لم يعرف السحر والتمييز بينه وبين المعجزة ، وما لم يعرف أن الله لايضل عباده . — وسؤال

---

(١) في (د) : الطريق .

(٢) في (ط) و (ع) و (د): فمتى .

الإضلال وعسر [تحرير] الجواب عنه مشهور - فبماذا تدفع جميع ذلك ؟ ولم يكن امامك أولى بالمتابعة من مخالفه ! فيرجع الى الادلة النظرية التي ينكرها ، وخصمه يدلي بمثل تلك الادلة واوضح منها. وهذا السؤال قد انقلب عليهم انقلاباً عظيماً ، لو اجتمع أولهم وآخرهم على أن يجيبوا عنه جواباً لم يقدروا عليه .

وانما نشأ الفساد من جماعة من الضعفة ناظروهم ، فلم يشتغلوا بالقلب ، بل بالجواب . وذلك مما يطول فيه الكلام ، ومالا يسبق سريعاً الى الافهام ، فلا يصلح للإفحام . فإن قال قائل : « فهذا هو القلب ، فهل عنه جواب ؟ » فأقول : « نعم ! جوابه أن المتحير لو قال : انا متحير ولم يعين المسألة التي هو متحير فيها ، يقال له : انت كمريض ، يقول : انا مريض ولا يعين مرضه [١]، ويطلب علاجه . » فيقال له : « ليس في الوجود علاج للمرض المطلق ، بل لمرض معين : من صداع او اسهال اوغيرهما. » فكذلك المتحير ينبغي أن يعين ماهو متحير فيه ؛ فإن عين المسألة عرفته الحق فيها بالوزن بالموازين الخمسة ، التي لا يفهمها أحد الا ويعترف بأنه الميزان الحق ، الذي يوثق بكل مايوزن به ، فيفهم الميزان ، ويفهم منه ايضاً صحة الوزن [٢]، كما يفهم متعلم علم الحساب نفس الحساب ، وكون المحاسب المعلم عالماً بالحساب وصادقاً فيه . وقد أوضحت ذلك في كتاب « القسطاس المستقيم » في مقدار عشرين ورقة ؛ فليتأمل .

وليس المقصود الآن بيان فساد مذهبهم ، فقد ذكرت ذلك في كتاب « المستظهري » اولاً ؛ وفي كتاب « حجة الحق » ثانياً ، وهو جواب كلام لهم عرض علي ببغداد ، وفي كتاب « مفصل الخلاف الذي هو اثنا عشر فصلاً ثالثاً . وهو جواب كلام عُرض علي بهمدان ؛ وفي كتاب « الدرج » المرقوم

---

(١) في(ط.ع): ولايذكر عين مرضه.

(٢) في(ط.ع) : ويفهم ايضاً من صحة الوزن

« بالجداول » رابعاً، وهو من ركيك كلامهم الذي عرض علي بطوس ؛ وفي كتاب « القسطاس المستقيم » خامساً، وهو كتاب مستقل مقصوده بيان ميزان العلوم واظهار الاستغناء عن الامام [المعصوم] لمن أحاط به .

بل المقصود أن هؤلاء ، ليس معهم شيء من الشفاء المنجي من ظلمات الآراء ، بل هم مع عجزهم عن اقامة البرهان على تعيين الإمام ، طال ما جاريناهم [١] فصدقناهم في الحاجة الى التعليم ، والى المعلم المعصوم وأنه الذي عينوه ، ثم سألناهم عن العلم الذي تعلموه من هذا المعصوم وعرضنا عليهم اشكالات فلم يفهموها ، فضلاً عن القيام بحلها ! فلما عجزوا أحالوا [على] الإمام الغائب ، وقالوا : « (انه) لابد من السفر اليه . » والعجب أنهم ضيعوا عمرهم في طلب المعلم وفي التبجح بالظفر به ، ولم يتعلموا منه شيئاً أصلاً ، كالمتضمّخ [٢] بالنجاسة ، يتعب في طلب الماء حتى اذا وجده لم يستعمله ، وبقي متضمخاً بالخبائث .

ومنهم من ادعى شيئاً من علمهم ، فكان حاصل ما ذكره شيئاً من ركيك فلسفة فيثاغورس [٣] : وهو رجل من قدماء الاوائل ، ومذهبه ارك مذاهب الفلسفة ، وقد رد عليه ارسطاطاليس ، بل استرك كلامه واسترذله ، وهو المحكي في كتاب « إخوان الصفا » ، وهو على التحقيق حشو الفلسفة .

فالعجب ممن يتعب طول العمر في طلب [٤] العلم ثم يقنع بمثل ذلك العلم

---

(١) في (ع . د) : طالما جربناهم .

(٢) التضمخ لايكون لغة إلا بالطيب ، وفي(د) : المضمخ ، الملطخ (هـ)

(٣) فيثاغورس : أحد فلاسفة الاغريق العظام الذين تركوا أثراً عظيماً في العلوم الرياضية . أما فلسفته — كما ذكرها أرسطو — فانها تقوم على أساس واحد ، عنه تتفرع كل التفاصيل وهو : « أن العدد ماهية الاشياء ، وأن الاشياء مصنوعة من العدد . » ويفسرها الفيثاغوريون أنفسهم بعبارة أكثر وضوحاً وهي قولهم : إن الاشياء تفسر بالاعداد . » أما مولده ومماته فغير معلومين على الضبط ، والراجح أنه عاش بين القرنين السادس والخامس ق.م.

(٤) في (ع) : تحصيل

الركيك المستغث ، ويظن بأنه ظفر بأقصى مقاصد العلوم ! فهؤلاء ايضاً جربناهم وسبرنا ظاهرهم وباطنهم ؛ فرجع حاصلهم الى استدراج العوام ، وضعفاء العقول ببيان الحاجة الى المعلم ، ومجادلتهم في انكارهم الحاجة الى التعليم بكلام قوي مفحم ، حتى اذا ساعدهم على الحاجة الى المعلم مساعد ، وقال : « هات علمه وأفدنا من تعليمه ! » وقف وقال : « الآن اذا سلمت لي هذا فاطلبه ، فانما غرضي هذا القدر فقط . » اذ علم انه لو زاد على ذلك لافتضح ولعجز عن حل أدنى الاشكالات [١] ، بل عجز عن فهمه ، فضلاً عن جوابه .

فهذه حقيقة حالهم فاخبرهم تقلُهم [٢] فلما خبرناهم [٣] نفضنا اليد عنهم (ايضاً) .

---

(١) في (ع): المشكلات

(٢) تقلهم : تبغضهم ، من القلى ، وهو البغض . وهذه الجملة مقتبسة من الحديث الشريف : « أُخبر تقله » .

(٣) في (د) ؛ جربناهم

٤ — طرق الصوفية

ثم اني لما فرغت من هذه العلوم ، أقبلت بهمتي على طريق **الصوفية**[١] وعلمت أن طريقتهم انما تتم بعلم وعمل ؛ وكان حاصل علومهم[٢] قطع عقبات النفس ، والتنزه عن اخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة ، حتى يتوصل (بها) الى تخلية القلب عن غير الله (تعالى)[٣] وتحليته بذكر الله .

وكان العلم أيسر عليّ من العمل . فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل : « قوت القلوب » لأبي طالب المكي »[٤] (رحمه الله) ، وكتب

---

(١) مصادر عن التصوف والصوفية :

١ — ابن الجوزي : نقد العلم والعلماء ص ١٧١ — ٤٠٤

٢ — الشعراني : الطبقات الكبرى .

٣ — ابن خلدون : المقدمة ، فصل علم التصوف .

٤ —عبد اللطيف الطبياوي : التصوف الاسلامي العربي .

٥ — محمد رشيد رضا : تاريخ الاستاذ الامام ، ج ١ ص ١٠٩ — ٢٩٠ .

٦ — محمود البشبيشي : الفرق الإسلامية .

٧ — محمد لطفي جمعة : تاريخ فلاسفة الإسلام ص ٢٧٥ — ٢٩٠ .

٨ — Nicholson : Mystics of Islam, London 1914

٩ — Studies in Islamic Mysticism, Cambaridge 1921

١٠ — Massignon : La passion d'Al-Hallaj

(٢) في (ع) : علمهم ،وفي(ط):عملهم.

(٣) سقط من (د).

(٤) ابو طالب المكي (?—٣٨٨ هـ) كان صالحاً مجتهداً في العبادة وله مصنفات في التوحيد . قيل : « ان رياضته الصوفية » كانت عظيمة جداً : اذ انه هجر الطعام زماناً ، واقتصر على اكل الحشائش المباحة فاخضر جلده من كثرة تناولها !!! قيل انه زار بغداد ،=

« الحارث المحاسبي »[١] ، والمتفرقات المأثورة عن « الجنيد »[٢] و « الشبلي »[٣] و « ابي يزيد البسطامي »[٤] ، [قدس الله ارواحهم] وغيرهم من المشايخ[٥] ؛ حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية ، وحصلت ما يمكن ان يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع . فظهر لي أن أخص خواصهم ، ما لا يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق[٦] والحال[٧] وتبدل الصفات . وكم من الفرق بين ان تعلم حد الصحة

= فلما وعظ الناس خلط في كلامه ، فتركوه وهجروه . وقد حفظ عنه أنه قال يومئذ : « ليس على المخلوقين أضر من الخالق . »

أما كتابه « قوت القلوب » فقد قالوا : « إنه لم يصنف في الاسلام مثله في دقائق الطريقة (أي الصوفية) ولمؤلفه كلام في هذه العلوم لم يسبق الى مثله . » ويمتاز قوت القلوب بحرص مؤلفه واحتياطه فيما يتعلق بمذاهب الصوفية ، وبجمال لغته . وقد اختصره السيد جمال الدين القاسمي الدمشقي ، ولايزال مخطوطاً في الخزانة القاسمية .

(١) المحاسبي : (؟ — ٢٤٣ هـ) قيل إنه سمي بهذا الاسم لكثرة محاسبته نفسه ، كان من أجل علماء زمانه ومن أكثرهم دراية بعلوم الشريعة . وقد ذكر مترجموه أنه ألف في هذه العلوم (الحديث والفقه والكلام والتصوف) نحو مئتي كتاب !

(٢) الجنيد : (؟ — ٢٩٧ هـ) أصله من نهاوند ، ومولده ومنشؤه في العراق . تفقه على « أبي ثور » صاحب الإمام الشافعي ، وكان شيخ وقته وفريد عصره ؛ وكلامه في الحقيقة مشهور مدون وهو في نظر الصوفية سيد علماء الآخرة على الاطلاق .

(٣) الشبلي : (٢٤٧ — ٣٣٤ هـ) خراساني الأصل ، بغدادي المولد والمنشإ . يرى المتتبع لأخباره وحوادثه في تراجم الصوفية ، كطبقات الشعراني وغيرها ، أنه من أولئك الزهاد النادرين الذين انقطعوا للعبادة والرياضة . وكان له في مجالسه وأحاديثه مع عشرائه ، أبناء طريقته ، طابع خاص — كما هي الحال في اعلام الصوفية .

(٤) أبو يزيد البسطامي : (؟ — ٢٦٤ هـ) كان جده مجوسياً ثم أسلم ، وقد سئل : بأي شيء وجدت هذه المعرفة؟ » ، قال : « ببطن جائع وبدن عار » وكان يقول : لو نظرتم الى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء ، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود ، وأداء الشريعة . » ، وقد عرفت له مقالات كثيرا ومجاهدات مشهورة .

(٥) في ط : وغيرهم من المشايخ (٦) الذوق في معرفة الله : عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب اوليائه ، فيفرقون بواسطته بين الحق والباطل ، دون ان يعتمدوا في ذلك التفريق على كتاب او غيره . (٧) الحال عند المتصوفة : معنى يرد على القلب من =

وحد الشبع واسبابها وشروطها ، وبين ان يكون صحيحاً وشبعان ؟ وبين ان يعرف حد السكر ، وانه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء ابخرة تتصاعد من المعدة على معادن الفكر ، وبين ان يكون سكران ! بل السكران لا يعرف حدّ السكر ؛ وعِلمُه وهو سكران وما معه من علمه شيء ! والصّاحي يعرف حدّ السُكر وأركانه وما معه من السكر شيء . والطبيب في حالة المرض يعرف حدّ الصحة واسبابها وأدويتها ، وهو فاقد الصحة . فكذلك فرقٌ بين ان تعرف حقيقة الزهد وشروطه [1] واسبابه ، وبين ان تكون حالك الزهد ، وعزوف النفس عن الدنيا !

فعلمت يقيناً انهم ارباب الاحوال ، لا اصحاب الاقوال . وان ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته ، ولم يبق الا مالا سبيل اليه بالسماع والتعلم ، بل بالذوق والسلوك .[2] وكان (قد) حصل معي ـ من العلوم التي مارستها والمسالك التي سلكتها ، في التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية ـ ايمانٌ يقينيٌ بالله تعالى ، وبالنبُوّة ، وباليوم الآخر .

فهذه الاصول الثلاثة من الايمان كانت قد رسخت في نفسي ، لا بدليل معين محرر[3] ، بل باسبابٍ وقرائن وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلُها .

= غير تصنع ولا اجتلاب ولا اكتساب ، من طرب او حزن ، او قبض أو بسط ويزول الحال بظهور صفات النفس ؛ فاذا دام وصار ملكا يسمى مقاماً ؛ فالاحوال مواهب ، والمقامات مكاسب . فالاولى تأتي من عين الجود ، والثانية ببذل المجهود .

(١) في (ط.ع) : وشروطها وأسبابها . **الزهد لغة : هو الإعراض عن الشيء** ، تقول زهدت فيه وعنه ، أي أعرضت . واصطلاحاً : **هو الاعراض عن الدنيا** .

والفرق بين الزهد والتصوف : هو **أن الزهد عام عند جميع الامم** ، وقد عرفه اليونان قديماً في تعاليم الفلاسفة الرواقيين ، ولاغاية للزاهد غير الابتعاد عن اللذات . اما التصوف فلم يعرف عند كل الامم ، وغايته أبعد وطريقه أعقد ، فهو والزهد من حيث بعض المظاهر متفقان ، الا أن الرياضات التي يقوم بها المتصوف لايفقه الزاهد لها معنى .

(٢) السالك : هو الذي مشى على المقامات بحاله ، لابعلمه ، ومنه السلوك .

(٣) في (ع.د) : مجرد :

وكان قد ظهر عندي انه لا مطمع (لي) في سعادة الآخرة إلا بالتقوى ، وكف النفس عن الهوى ، وأن رأس ذلك كله ، قطعُ علاقة القلب عن الدنيا، بالتجافي[١] عن دار الغرور ، والإنابة الى دار الخلود ،والاقبال بكُنه الهمة على الله تعالى . وان ذلك لا يتم الا بالإعراض عن الجاه والمال ، والهرب من الشواغل والعلائق .

ثم لاحظت احوالي ، فاذا أنا منغمس في العلائق ، وقد أحدقت بي من الجوانب ، ولاحظت أعمالي — وأحسنها التدريس والتعليم — فاذا أنا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة .

ثم تفكرت في نيتي في التدريس فاذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى ، بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت ؛ فتيقنت أني على شفا جرُف هار ، وأني قد اشفيت على النار ، إن لم اشتغل بتلافي الاحوال .

فلم ازل اتفكر فيه مدة ؛ وانا ، بعد ، على مقام الاختيار أُصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الاحوال يوماً ، واحل العزم يوماً ، وأُقدم فيه رجلًا وأُؤخر عنه أُخرى . لا تصدق[٢] لي رغبة في طلب الآخرة بكرة ، إلا ويحمل عليها[٣] جند الشهوة حملة فيفترها عشية . فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها الى المقام ، ومنادي الايمان ينادي : الرحيل ! الرحيل ! فلم يبق من العمر إلا قليل ، وبين يديك السفر الطويل ، وجميع ما أنت فيه من العلم والعمل رياء وتخييل ! فان لم تستعد الآن للآخرة ، فمتى تستعد ؟ وإن لم تقطع الآن [هذه العلائق] فمتى تقطع ؟ فعند ذلك تنبعث الداعية ، وينجزم العزم على الهرب والفرار !

ثم يعود الشيطان ويقول : « هذه حال عارضة ، إياك أن تطاوعها ، فانها سريعة الزوال ؛ فان أذعنت لها وتركت هذا الجاه العريض ، والشأن المنظوم

---

(١) في (د) : والتجافي (٢) في ع : تصفو
(٣) في (ع) : ويحمل عليه .

الخالي عن التكدير والتنغيص ، والأمر[١] المسلم الصافي عن منازعة الخصوم ، ربما التفتت اليه نفسك ، ولا يتيسر لك المعاودة . »

فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ، ودواعي الآخرة[٢] ، قريباً من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وثمانين وأربع مائة [٣] ؛ وفي هذا الشهر جاوز الامر حد الاختيار الى الاضطرار ، اذ أقفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس ، فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوماً واحداً تطيباً لقلوب المختلفة [الي] ، فكان لا ينطق[٤] لساني بكلمة [واحدة] ولا أستطيعها البتة ، حتى[٥] أورثت هذه العقلة في اللسان حزناً في القلب ، بطلت معه قوة الهضم ومراءة[٦] الطعام والشراب : فكان لا ينساغ لي ثريد ، ولا تنهضم (لي) لقمة ؛ وتعدى الى ضعف القوى ، حتى قطع الاطباء طمعهم من العلاج وقالوا : « هذا أمر نزل بالقلب ، ومنه سرى الى المزاج ، فلا سبيل اليه بالعلاج ، الا بأن يتروح السر عن الهم الملم » .

ثم لما أحسست بعجزي ، وسقط بالكلية اختياري ، التجأت الى الله تعالى التجاء المضطر الذي لا حيلة له ، فأجابني الذي « يجيب المضطر اذا دعاه [٧] » ، وسهل على قلبي الإعراض عن الجاه والمال (والاهل والولد والاصحاب) ، وأظهرت عزم الخروج الى مكة وأنا أدبر[٨] في نفسي سفر الشام حذراً أن يطلع الخليفة وجملة الاصحاب على عزمي على المقام في الشام ؛ فتلطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عزم أن لا أعاودها أبداً . واستهدفت لائمة أهل

---

(١) : في (ط.ع) : والأمن

(٢) في (ط) : الدين (٣) في (ط) : ست وثمانين واربعمئة .

(٤) في (ط) : ينطلق (٥) في (د.ع) : ثم ،

(٦) في (د.ع) : قرم ، وفي ط : «مرأ» ، اما الاولى فغير صحيحة لغة، وأما الثانية فلا وجود لها في معاجم اللغة ، ولعلها مراءة وهي الهناء .

(٧) قرآن كريم : سورة النمل الآية ٦٢

(٨) في (د.ع) : اوري .

العراق كافة ،اذ لم يكن فيهم من يجوز أن يكون للاعراض عما كنت فيه سبب ديني[١] ؛ اذ ظنوا أن ذلك هو المنصب الأعلى في الدين ، وكان ذلك مبلغهم من العلم .

ثم ارتبك الناس في الاستنباطات ، وظن من بعُد عن العراق ، أن ذلك كان لاستشعار من جهة الولاة ؛ (وأما من قرب من الولاة)[٢] فكان يشاهد الحاحهم في التعلق بي والانكباب عليّ ، واعراضي عنهم ، وعن الالتفات الى قولهم ، فيقولون : « هذا أمر سماوي ، وليس له سبب الا عين أصابت أهل الاسلام وزمرة أهل العلم[٣] » .

ففارقت بغداد ، وفرقت ما كان معي من المال ، ولم أدخر الا قدر الكفاف ، وقوت الاطفال ، ترخصاً بأن مال العراق مرصد للمصالح ، لكونه وقفاً على المسلمين . فلم أر في العالم مالاً يأخذه العالم لعياله أصلح منه .

ثم دخلت الشام ، وأقمت به قريباً من سنتين لا شغل لي الا العزلة والخلوة ؛ والرياضة والمجاهدة[٤] ، اشتغالاً بتزكية النفس ، وتهذيب الاخلاق ، وتصفية القلب لذكر الله (تعالى)[٥] ، كما كنت حصلته من كتب[٦] الصوفية . فكنت أعتكف مدة في مسجد دمشق ، أصعد منارة المسجد طول النهار ، وأُغلق بابها على نفسي .

ثم رحلت منها الى بيت المقدس ، أدخل كل يوم الصخرة ، وأُغلق بابها على نفسي .

ثم تحركت فيّ داعية فريضة الحج ، والاستمداد من بركات مكة والمدينة

---

(١) . في (ط.ع) : الاعراض عما كنت فيه سبباً دينياً

(٢) سقط من (د) .

(٣) في (ط) : العالم

(٤) المجاهدة : حمل النفس على كل حال . (٥) سقط من (د)

(٦) في (ط.ع) : علم

وزيارة رسول الله ﷺ بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله وسلامه عليه ؛ فسرت الى الحجاز .

ثم جذبتني الهمم ، ودعوات الأطفال الى الوطن ، فعاودته بعد أن كنت أبعد الخلق عن الرجوع اليه . فآثرت العزلة [به] أيضاً حرصاً على الخلوة ، وتصفية القلب للذكر .

وكانت حوادث الزمان ، ومهمات العيال ، وضرورات المعاش[١] ، تغير فيّ وجه المراد ، وتشوش صفوة الخلوة . وكان لا يصفو [لي] الحال الا في أوقات متفرقة . لكني مع ذلك لا أقطع طمعي منها ، فتدفعني عنها العوائق ، وأعود اليها .

ودمت على ذلك مقدار عشر سنين ؛ وانكشفت لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن احصاؤها واستقصاؤها ؛ والقدر الذي أذكره لينتفع به : أني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله (تعالى) خاصة ، وأن سيرتهم أحسن السير ، وطريقهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الاخلاق . بل لو جُمع عقل العقلاء ، وحكمة الحكماء ، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ، ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ، ويبدلوه بما هو خير منه ، لم يجدوا اليه سبيلاً . فان جميع حركاتهم وسكناتهم ، في ظاهرهم وباطنهم ، مقتبسة من (نور) مشكاة النبوة ؛ وليس وراء نور النبوة على وجه الارض نور يستضاء به .

وبالجملة ، فماذا[٢] يقول القائلون في طريقة ، طهارتها - وهي أول شروطها - تطهير القلب بالكلية عما سوى الله (تعالى)[٣] ، ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة[٤] ، استغراق القلب بالكلية بذكر الله ، وآخرها الفناء

---

(١) في (د) : المعيشة (٢) في (د) : ماذا (٣) سقط من (د)

(٤) يريد الغزالي ان يقول : كما أن اول شرط للصلاة هو طهارة الجسد والمكان الذي لاتصح الصلاة الا به ، كذلك اول شرط في الطريقة طهارة القلب . ثم ان مفتاح الصلاة هو تكبيرة التحريم التي تبدأ بها فتحرم على المصلي كل شيء ، كذلك مفتاح الطريقة استغراق القلب بالكلية بذكر الله .

بالكلية في الله ؟ وهذا آخرها بالاضافة الى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من أوائلها . وهي على التحقيق أول الطريقة ، وما قبل ذلك كالدهليز للسالك اليه .

ومن أول الطريقة تبتدىء المكاشفات (والمشاهدات) ، حتى انهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة ، وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد . ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال ، الى درجات يضيق عنها نطاق النطق ، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها الا اشتمل لفظه على خطإٍ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه .

وعلى الجملة . ينتهي الامر الى قرب ، يكاد يتخيل منه طائفة الحلول[١] ، وطائفة الاتحاد[٢] وطائفة الوصول[٣] ، وكل ذلك خطأ . وقد بينا وجه الخطإ فيه في كتاب « المقصد الاسنى[٤] » ؛ بل الذي لابسته[٥] تلك الحالة لا ينبغي أن يزيد على أن يقول :

---

(١) الحلول : هو أن يكون الشيء حاصلا في الشيء ومختصاً به بحيث تكون الاشارة الى احدهما إشارة الى الآخر تحقيقاً او تقديراً [كليات ابي البقاء]

وحلول شيء في شيء : هو ان يكون وجوده في نفسه هو بعينه وجوده لذلك الشيء . ويريد المتصوفة به ان الله تعالى يحل في العارفين .

(ا هـ . ملخصا عن كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي)

(٢) الاتحاد ، في الاصل : امتزاج الشيئين واختلاطها حتى يصيرا شيئاً واحداً . وفي عرف الصوفية : الاتحاد هو شهود الحق واتحاده به ، من حيث كون كل شيء موجوداً به . معدوماً بنفسه ، لامن حيث أن له وجوداً خاصاً اتحد به ، فانه محال .

(٣) لم نعثر على تعريف اصطلاحي للوصول في الكتب المعروفة ، ولعل الغزالي يريد بها الاتصال بواجب الوجود .

(٤) في (ع) و (ط) : المقصد الاقصى ، لم نعثر على كتاب بهذا الاسم للغزالي ونرجح أنه الكتاب المطبوع باسم المقصد الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى ، إذ ان البحث المشار اليه هنا موجود في ص ١٢٢ (مطبعة التقدم ، ١٣٢٢ هـ) .

(٥) في (د) : زايلته ، وفي الذيل : نازلته

وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر![1]

وبالجملة ، فمن لم يرزق منه شيئاً بالذوق ، فليس يدرك من حقيقة النبوة الا الاسم ،وكرامات الاولياء ، [هي]على التحقيق ، بدايات الانبياء . وكان ذلك أول حال رسول الله ﷺ ، حين أقبل[2] الى جبل « حراء »[3] ،حيث[4] كان يخلو فيه بربه ويتعبد ، حتى قالت العرب : « أن محمداً عشق ربه ! » .

وهذه حالة ، يتحققها بالذوق من يسلك سبيلها . فمن لم يرزق الذوق ، فيتيقنها بالتجربة والتسامع ، ان أكثر معهم الصحة ، حتى يفهم ذلك بقرائن الاحوال يقيناً. ومن جالسهم ، استفاد منهم هذا الإيمان . فهم القوم لايشقى جليسهم . ومن لم يرزق صحبتهم ، فليعلم امكان ذلك يقيناً بشواهد البرهان ، على ما ذكرناه في كتاب « عجائب القلب » من كتب « احياء علوم الدين[5] » .

والتحقيق بالبرهان **علم** ، وملابسة عين تلك الحالة **ذوق** ، والقبول من التسامع والتجربة بحسن الظن **ايمان** .

فهذه ثلاث درجات : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجات[6] » .

ووراء هؤلاء قوم جهال ، هم المنكرون لاصل ذلك ، المتعجبون من هذا الكلام ، يستمعون ويسخرون ، ويقولون : العجب ! انهم كيف يهذون ! وفيهم قال الله تعالى : « ومنهم من يستمع اليك ، حتى اذا خرجوا من عندك

---

(١) هذا البيت لابن المعتز

(٢) في ط : حيث تبتل .

(٣) حراء : جبل من جبال مكة ، وهو على ثلاثة أميال منها . كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعبد في غار منه قبل أن يأتيه الوحي ، وفي هذا الغار أتاه جبريل بالرسالة العظمى التي غيرت وجه التاريخ ودفعت البشرية الى الغاية المثلى .

(٤) : في جميع النسخ : حين (٥) في (د) : الاحياء

(٦) قرآن كريم : « سورة المجادلة » الآية ١١

قالوا للذين اوتو العلم ماذا قال آنفاً ، اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم[١] » (فأصمهم وأعمى أبصارهم) .

ومما بان لي بالضرورة من ممارسة طريقتهم ، « **حقيقة النبوة وخاصيتها** » . ولا بد من التنبيه على اصلها لشدة مسيس الحاجة اليها .

❀ ❀ ❀

(١) قرآن كريم : « سورة محمد » الآية ١٦

حقيقة النبوة

واضطرار كافة الخلق اليها

اعلم : أن جوهر الإنسان في أصل[1] الفطرة ، خلق خالياً ساذجاً لاخبر معه من عوالم الله (تعالى)[2] ؛ والعوالم كثيرة لايحصيها الا الله تعالى ، كما قال : « وما يعلم جنود ربك الا هو[3] » وانما خبره من العوالم[4] بواسطة الإدراك ، وكل ادراك من الإدراكات خلق ليطلع الإنسان به على عالم من الموجودات ؛ ونعني بالعوالم ، أجناس الموجودات .

فأول ما يخلق في الإنسان حاسة **اللمس** ، فيدرك بها أجناساً من الموجودات : كالحرارة ، والبرودة ، والرطوبة واليبوسة ، واللين والخشونة ، وغيرها . واللمس قاصر عن الالوان والاصوات قطعاً ، بل هي كالمعدوم في حق اللمس .

ثم تخلق له [حاسة][5] **البصر** ، فيدرك بها الالوان والاشكال ، وهو أوسع عوالم المحسوسات .

ثم ينفخ فيه[6] **السمع** ، فيسمع الاصوات والنغمات .

ثم يخلق له **الذوق** . وكذلك الى أن يجاوز عالم المحسوسات ، فيخلق فيه **التمييز** ، وهو قريب من سبع سنين ، وهو طور آخر من أطوار وجوده :

---

(١) في (د) أول (٢) سقط من (د) (٣) سورة « المدثر » الآية ٣١
(٤) في (ط.ع) : في العالم (٥) سقط من (د) (٦) في د.ع : ينفتح له .

فيدرك فيه اموراً زائدة على (عالم)[١] المحسوسات، لا يوجد منها شيء في عالم الحس.

ثم يترقى الى طور آخر، فيخلق له **العقل**، فيدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات، واموراً لاتوجد في الاطوار التي قبله.

ووراء العقل طور آخر تنفتح فيه عين أُخرى يبصر بها الغيب وماسيكون في المستقبل، واموراً أُخر، العقل معزول عنها كعزل قوة التمييز عن ادراك المعقولات وكعزل قوة الحس عن مدركات التمييز. وكما أن المميز لو عرضت عليه مدركات العقل لأباها واستبعدها، فكذلك بعض العقلاء أبوا مدركات النبوة واستبعدوها: وذلك عين الجهل: إذ لامستند لهم الا انه طور لم يبلغه ولم يوجد في حقه، فيظن انه غير موجود في نفسه. والاكمه لو لم يعلم بالتواتر والتسامع الالوان والاشكال، وحكي له ذلك ابتداء؛ لم يفهمها ولم يقرّ بها. وقد قرب الله تعالى على خلقه بأن اعطاهم نموذجاً من خاصية النبوة، وهو النوم: إذ النائم يدرك ماسيكون من الغيب، اما صريحاً واما في كسوة مثال يكشف عنه التعبير. وهذا لولم يجربه الإنسان من نفسه — وقيل له: «ان من الناس من يسقط مغشياً عليه كالميت، ويزول (عنه)[٢] إحساسه وسمعه وبصره فيدرك الغيب.» — لانكره، واقام البرهان على استحالته وقال: «القوى الحساسة اسباب الإدراك، فمن لايدرك الأشياء[٣] مع وجودها وحضورها؛ فبأن لايدرك مع ركودها اولى واحق.» وهذا نوع قياس يكذبه الوجود والمشاهدة. فكما ان العقل طور من أطوار الآدمي، يحصل فيه عين يبصر بها انواعاً من المعقولات، والحواس معزولة عنها، فالنبوة ايضاً عبارة عن طور يحصل فيه عين لها نور يظهر في نورها الغيب؛ وأمور لايدركها العقل.

والشك في النبوة، اما ان يقع: في امكانها، او في وجودها ووقوعها، او في حصولها لشخص معين.

---

(١) سقط من (د)　(٢) سقط من (د)　(٣) في (د): الشيء.

ودليل امكانها وجودها . ودليل وجودها وجود معارف في العالم لايتصور ان تنال بالعقل ، كعلم الطب والنجوم ؛ فإن من بحث عنها علم بالضرورة انها لاتدرك الا بإلهام الهي وتوفيق من جهة الله (تعالى)[١] ، ولا سبيل اليها بالتجربة . فمن الاحكام النجومية مالا يقع الا في كل الف سنة مرة ، فكيف ينال ذلك بالتجربة ؟ وكذلك خواص الادوية . فتبين بهذا البرهان ، أن في الإمكان وجود طريق لادراك هذه الامور التي لا يدركها العقل ؛ وهو المراد بالنبوة ، لا أن النبوة عبارة عنها فقط ، بل ادراك هذا الجنس الخارج عن مدركات العقل احدى خواص النبوة ، ولها خواص كثيرة سواها . وما ذكرنا فقطرة من بحرها ؛ انما ذكرناها لان معك أنموذجاً منها ، وهو مدركاتك في النوم ؛ ومعك علوم من جنسها في الطب والنجوم ، وهي معجزات الانبياء (عليهم الصلاة والسلام) ، ولا سبيل اليها للعقلاء ببضاعة العقل أصلاً .

واما ماعدا هذا من خواص النبوة ، فإنما يدرك بالذوق ، من سلوك طريق **التصوف** ؛ لان هذا انما فهمته بأنموذج رزقته وهو النوم ، ولولاه لما صدقت به . فإن كان للنبي خاصة[٢] ليس لك منها أنموذج ، ولا تفهمها اصلاً ، فكيف تصدق بها ؟ وانما[٣] التصديق بعد الفهم : وذلك الانموذج يحصل في اوائل طريق التصوف ، فيحصل به نوع من الذوق بالقدر الحاصل ونوع من التصديق بما لم يحصل بالقياس (اليه) . فهذه الخاصية الواحدة تكفيك للإيمان بأصل النبوة .

فإن وقع لك الشك في شخص معين ، أنه نبي أم لا ، فلا يحصل اليقين الا بمعرفة احواله ، اما بالمشاهدة ، او بالتواتر والتسامع ؛ فإنك اذا عرفت الطب والفقه ، يمكنك ان تعرف الفقهاء والاطباء بمشاهدة أحوالهم ، وسماع

---

(١) سقط من (د)　　(٢) في (د) : خاصية

(٣) في (د) : وانما خاصة النبوة التصديق بعد التفهم

اقوالهم ، وان لم تشاهدهم ؛ ولا تعجز ايضاً عن معرفة كون الشافعي[١] (رحمه الله)[٢] فقيهاً ، وكون جالينوس[٣] طبيباً ، معرفة بالحقيقة لا بالتقليد عن الغير : [بل] بأن تتعلم شيئاً من الفقه والطب وتطالع كتبهما وتصانيفهما، فيحصل لك علم ضروري بحالهما . فكذلك اذا فهمت معنى النبوة فأكثرت النظر في القرآن والاخبار ، يحصل لك العلم الضروري بكونه ﷺ على أعلى درجات النبوة ، واعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات وتأثيرها في تصفية القلوب ، وكيف صدق ﷺ في قوله : « من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم[٤] » وكيف صدق في قوله : « من أعان ظالماً سلطه الله عليه [٥] » وكيف صدق في قوله : « من اصبح وهمومه هم واحد كفاه الله (تعالى)[٦] هموم الدنيا والآخرة » ، فاذا جربت ذلك في الف والفين وآلاف ، حصل لك علم ضروري لاتتمارى فيه .

---

(١) راجع ص ٨٩ حاشية «٥» (٢) سقط من (د)

(٣) جالينوس : (١٣١-٢١٠ ق . م .) طبيب اغريقي عظيم ، بقي اسمه علماً في عالم الطب الى هذا العصر . ظهر في حقبة كان الطب فيها في ايدي السفسطائيين الدجالين ، فأحيى طب ابيقراط ؛ فكانت له بذلك شهرة عظيمة في عصره . وهو كاكثر الاطباء الاقدمين عني بدراسة الفلسفة . فلما تعمق فيها ، بداله أن يؤلف ، فشرح كل مؤلفات ارسطو ، ثم اكب على دراسة الطب .

كانت مؤلفاته كانها موسوعات في الطب النظري والتشريح ، وقد سادت آراؤه في الطب حتى اوائل القرن السابع عشر ، كما سادت فلسفة ارسطو .

كان كاتباً خصباً ، ألف ١٢٥ مؤلفاً غير طبية ، منها ١١٥ فلسفية ولكنها لم تصلنا إذ احترقت في أثناء حياته ، والباقي الى يومنا هذا من كل مؤلفاته الطبية والرياضية والفلسفية ٨٠ مؤلفا .

اما فلسفته فمزيج مضطرب مليء بالمتناقضات والغموض .

(عن دائرة المعارف الفرنسية باختصار)

(٤) لم نعثر في كتب الحديث الشهيرة على نص لهذا الحديث .

(٥) حديث ضعيف كما في الجامع الصغير ، رواه ابن عساكر عن ابن مسعود .

(٦) سقط من (د)

فمن هذا الطريق أطلب اليقين بالنبوة ، لامن قلب العصا ثعباناً ، وشق القمر ؛ فان ذلك اذا نظرت اليه وحده، ولم تنضم اليه القرائن الكثيرة الخارجة[١] عن الحصر ، ربما ظننت انه سحر وتخييل ، وانه من الله تعالى إضلال فانه «يضل من يشاء ويهدي من يشاء . » [٢]

وترد عليك اسئلة[٣] المعجزات ، فاذا كان مستند ايمانك الى كلام منظوم[٤] في وجه دلالة المعجزة ، فينجزم ايمانك بكلام مرتب في وجه الاشكال والشبهة عليها، فليكن مثل هذه الخوارق إحدى الدلائل والقرائن في جملة نظرك ، حتى يحصل لك علم ضروري لايمكنك ذكر مستنده على التعيين ، كالذي يخبره جماعة بخبر متواتر لايمكنه ان يذكر أن اليقين مستفاد من قول واحد معين ، بل من حيث لايدري ، ولايخرج عن جملة ذلك ولا بتعيين الآحاد . **فهذا هو الايمان القوي العلمي** .

وأما **الذوق** فهو كالمشاهدة والاخذ باليد ، ولايوجد الا في طريق الصوفية.

فهذا القدر من حقيقة النبوة ، كاف في الغرض الذي اقصده الآن ، وسأذكر وجه الحاجة إليه[٥].

* * *

---

(١) في (ط . ع) : الخارجية .
(٢) قرآن كريم « سورة فاطر » الآية ٨
(٣) في (ع) : مسألة .
(٤) في (ط . ع) : فان كان مستنداً ايمانك الى كلام منظوم
(٥) في (د) : الى ذكره .

سبب نشر العلم

بعد الاعراض عنه

ثم إني لما واظبت على العزلة والخلوة قريباً من عشر سنين ، وبان لي في أثناء ذلك على الضرورة من أسباب لا احصيها ، مرة بالذوق ، ومرة بالعلم البرهاني ، ومرة بالقبول الايماني : أن الانسان خلق من بدن وقلب [1] ؛ واعني بالقلب حقيقة روحه التي هي محل معرفة الله ، دون اللحم والدم الذي يشارك فيه الميت والبهيمة ، وأن البدن له صحة بها سعادته ومرض فيه هلاكه ، وان القلب كذلك له صحة وسلامة ، ولا ينجو « إلا من أتى الله بقلب سليم [2] » وله مرض فيه هلاكه الابدي الاخروي ، كما قال تعالى : « في قلوبهم مرض [3] » وان الجهل بالله سم مهلك ؛ وان معصية الله ، بمتابعة الهوى ، داؤه الممرض ، وان معرفة الله تعالى ترياقه المحيي ، وطاعته بمخالفة الهوى ، دواؤه الشافي ؛ وانه لا سبيل الى معالجته بازالة مرضه وكسب صحته ، الا بأدوية ؛ كما لا سبيل إلى معالجة البدن الا بذلك . وكما أن أدوية البدن تؤثر في كسب الصحة بخاصية فيها ، لا يدركها العقلاء ببضاعة العقل ، بل يجب فيها تقليد الاطباء الذين اخذوها من الانبياء ، الذين اطلعوا بخاصية النبوة على خواص الاشياء ، فكذلك بان لي ، على الضرورة بان ادوية العبادات بحدودها ومقاديرها المحدودة المقدرة من جهة الانبياء ،

---

(١) في (ط) : أن للانسان بدناً وقلباً .

(٢) قرآن كريم « سورة الشعراء » الآية ٨٩

(٣) « سورة البقرة » الآية ١٠ و « المائدة » الآية ٥٥ وغيرها .

لايدرك وجه تأثيرها ببضاعة عقل العقلاء ، بل يجب فيها تقليد الانبياء الذين ادركوا تلك الخواص بنور النبوة ، لا ببضاعة العقل . وكما ان الادوية تركب من (اخلاط مختلفة) النوع والمقدار وبعضها ضعف البعض في الوزن والمقدار ، فلا يخلو اختلاف مقاديرها عن سر هو من قبيل الخواص ، فكذلك العبادات التي هي ادوية داء القلوب ، مركبة من افعال مختلفة النوع والمقدار ، حتى ان السجود ضعف الركوع ، وصلاة الصبح نصف صلاة العصر في المقدار ؛ ولا يخلو عن سر من الاسرار ، هو من قبيل الخواص التي لا يطلع عليها الا بنور النبوة . ولقد تحامق وتجاهل جداً من أراد أن يستنبط ، بطريق العقل ، لها حكمة ، أو ظن أنها ذكرت على الاتفاق ، لا عن سر إلهي فيها ، يقتضيها بطريق الخاصية . وكما أن في الادوية أصولاً هي أركانها ، وزوائد هي متمماتها ، لكل واحد منها خصوص تأثير في أعمال أصولها ، كذلك النوافل والسنن متممات لتكميل آثار أركان العبادات .

وعلى الجملة : فالانبياء عليهم السلام أطباء أمراض القلوب ، وانما فائدة العقل وتصرفه ، أن عرفنا ذلك ، وشهد للنبوة بالتصديق ولنفسه بالعجز[١] عن درك ما يدرك بعين النبوة ، وأخذ بأيدينا وسلمنا (اليها)[٢] تسليم العميان الى القائدين ، وتسليم المرضى المتحيرين الى الاطباء المشفقين . فالى ههنا مجرى العقل ومخطاه[٣] وهو معزول عما بعد ذلك ، الا عن تفهم ما يلقيه الطبيب اليه[٤] .

فهذه أمور عرفناها بالضرورة الجارية مجرى المشاهدة ، في مدة الخلوة والعزلة .

---

(١) في (ط.د) : بالعمى (٢) سقط من (د)

(٣) في (ط) : وعطاؤه

(٤) يريد الغزالي ان يقول إن نطاق العقل محدود . راجع جميل صليبا وكامل عياد : « ابن خلدون : منتخبات » ص ١٠ وما بعدها و ص ٤٧ ومابعدها . (مكتب النشر العربي بدمشق) .

ثم رأينا فتور الاعتقادات في أصل النبوة ، ثم في حقيقة النبوة ، ثم في العمل بما شرحته النبوة ، وتحققنا شيوع ذلك بين الخلق ؛ فنظرت الى أسباب فتور الخلق ، وضعف ايمانهم ، فاذا هي أربعة :

١ – سبب من الخائضين في **علم الفلسفة** ؛

٢ – وسبب من الخائضين في **طريق التصوف** ؛

٣ – وسبب من المنتسبين الى **دعوى التعليم** ؛

٤ – وسبب من معاملة **الموسومين بالعلم** فيما بين الناس .

فاني تتبعت مدةً آحاد الخلق ، أسأل من أن يقصر منهم في متابعة الشرع (واسأله) [١] عن شبهته وابحث عن عقيدته وسره وقلت له : « مالك تقصر فيها فان كنت تؤمن بالآخرة ولست تستعد لها وتبيعها بالدنيا ، فهذه حماقة ! فانك لاتبيع الاثنين بواحد ، فكيف تبيع مالانهاية له بايام معدودة ؟ وان كنت لاتؤمن ، فأنت كافر ! فدبر نفسك في طلب الايمان ، وانظر ماسبب كفرك الخفي الذي هو مذهبك باطناً ، وهو سبب جرأتك ظاهراً ، وان كنت لاتصرح به تجملاً بالايمان وتشرفاً بذكر الشرع ! »

فقائل يقول : « ان هذا امر لو وجبت المحافظة عليه ، لكان العلماء أجدر بذلك ؛ وفلان من المشاهير [٢] بين الفضلاء لايصلي ، وفلان يشرب الخمر ، وفلان يأكل أموال الاوقاف واموال اليتامى ، وفلان يأكل ادرار السلطان ولايحترز عن الحرام ، وفلان يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة ! » وهلم جرا الى امثاله.

وقائل ثان : يدعي (علم) [١] التصوف ، ويزعم انه قد بلغ مبلغاً ترقى عن الحاجة الى العبادة !

وقائل ثالث يتعلل بشبهة أخرى من شبهات أهل الاباحة !

وهؤلاء هم الذين ضلوا عن التصوف .

---

(١) سقط من (د) (٢) في (د) : المشهورين (٣) سقط من (د)

وقائل رابع لقي أهل التعليم فيقول : « الحق مشكل ، والطريق اليه متعسر [١] ، والاختلاف فيه كثير ، وليس بعض المذاهب أولى من بعض ، وأدلة العقول متعارضة ، فلا ثقة برأي أهل الرأي ، والداعي الى التعليم متحكم لا حجة له ، فكيف أدع اليقين بالشك ؟ » .

وقائل خامس يقول : لست أفعل هذا تقليداً ، ولكني قرأت علم الفلسفة وأدركت حقيقة النبوة ، وأن حاصلها يرجع الى الحكمة والمصلحة ، وأن المقصود من تعبداتها : ضبط عوام الخلق وتقييدهم عن التقاتل والتنازع والاسترسال في الشهوات ، فما أنا من العوام الجهال حتى أدخل في حجر التكليف ، وانما أنا من الحكماء أتبع الحكمة وأنا بصير بها ، مستغنٍ فيها عن التقليد ! » .

هذا منتهى ايمان من قرأ (مذهب) [٢] فلسفة الإلهيين منهم ، وتعلم ذلك من كتب ابن سينا وأبي نصر الفارابي . وهؤلاء هم المتجملون بالاسلام .

وربما ترى الواحد منهم يقرأ القرآن ، ويحضر الجماعات والصلوات ، ويعظم الشريعة بلسانه ، ولكنه مع ذلك لا يترك شرب الخمر ، وأنواعاً من الفسق والفجور ! واذا قيل له : « إن كانت النبوة غير صحيحة ، فلم تصلي ؟ » فربما يقول : « لرياضة الجسد ، ولعادة أهل البلد ، وحفظ المال والولد ! » وربما قال : « الشريعة صحيحة ، والنبوة حق ! » فيقال : « فلم تشرب الخمر ؟ » فيقول : « إنما نهي عن الخمر لأنها تورث العداوة والبغضاء ، وأنا بحكمتي محترز عن ذلك ، وإني أقصد به تشحيذ خاطري . » حتى ان ابن سينا ذكر في وصية له كتب فيها : أنه عاهد الله تعالى على كذا وكذا ، وأن يعظم الاوضاع الشرعية ، ولا يقصر في العبادات الدينية ، ولا يشرب تلهياً بل تداوياً وتشافياً فكان منتهى حالته في صفاء الايمان ، والتزام العبادات ، أن استثنى شرب الخمر لغرض التشافي [٣] .

---

(١) في (ع) : منسد ، وفي (د) : مسدود (٢) سقط من (د) (علم) ه
(٣) في (ط) و (ع) و(د) : التشفي وهو خطأ

فهذا ايمان من يدعي الايمان منهم ، وقد انخدع بهم جماعة ، وزادهم انخداعاً ضعف اعتراض المعترضين عليهم ، إذ اعترضوا بمجاحدة علم الهندسة والمنطق ، وغير ذلك مما هو ضروري لهم ، على ما بينا علته من قبل [١] .

فلما رأيت أصناف الخلق قد ضعف ايمانهم الى هذا الحد بهذه الاسباب ، ورأيت نفسي ملبة [٢] بكشف هذه الشبهة ، حتى كان إفضاح [٣] هؤلاء أيسر عندي من شربة ماء ، لكثرة خوضي في علومهم [وطرقهم] ، أعني [طرق] الصوفية والفلاسفة والتعليمية والمتوسمين من العلماء ؛ انقدح في نفسي أن ذلك متعين في هذا الوقت محتوم . فماذا تغنيك الخلوة والعزلة ، وقد عم الداء ، ومرض الاطباء ، وأشرف الخلق على الهلاك ؟ ثم قلت في نفسي : (متى تشتغل [٤] أنت بكشف هذه الغمة (ومصادمة هذه الظلمة ، والزمان زمان الفترة ، والدور دور الباطل) [٥] ، ولو اشتغلت بدعوة الخلق ، عن طرقهم الى الحق ، لعاداك أهل الزمان بأجمعهم » وأنى تقاومهم ، فكيف تعايشهم [٦] ، ولا يتم ذلك إلا بزمان مساعد ، وسلطان متدين قاهر ؟

فترخصت بيني وبين الله تعالى بالاستمرار على العزلة تعللاً بالعجز عن إظهار الحق بالحجة . فقدر الله تعالى أن حرك داعية سلطان الوقت من نفسه ، لا بتحريك من خارج . فأمر أمر إلزام بالنهوض الى نيسابور ، لتدارك هذه الفترة ، وبلغ الالزام حداً كان ينتهي ، لو أصررت على الخلاف ، الى حد الوحشة . فخطر لي أن سبب الرخصة قد ضعف ، فلا ينبغي أن يكون باعثك على ملازمة العزلة الكسل والاستراحة ، وطلب عز النفس وصونها عن أذى الخلق ، ولم ترخص لنفسك عُسْرَ معاناة الخلق [٧] ، والله سبحانه وتعالى يقول:

---

(١) في (د.ع) : نبهنا عليه

(٢) ألب على الأمر : لزمه فلم يفارقه وفي طبعة احمد فريد رفاعي : مكبة

٣ في (د) : إفحام (٤) في ع : تستقل (٥) سقط من (د)

(٦) في (ط.د) : وكيف تقاسيهم . (٧) في (د) : فلم ترخص نفسك بعسر معاناة الخلق وفي (ط.ع) : ولم ترخص نفسك لعسر معافاة الخلق .

« بسم الله الرحمن الرحيم[١] : الم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم[٢] » الآية . ويقول عز وجل لرسوله وهو أعز خلقه : « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا ، حتى أتاهم نصرنا ؛ ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبإ المرسلين[٣] » . ويقول عز وجل « بسم الله الرحمن الرحيم[٤] : يس . والقرآن الحكيم » إلى قوله : « إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب[٥] » فشاورت في ذلك جماعة من أرباب القلوب والمشاهدات ، فاتفقوا على الاشارة بترك العزلة ، والخروج من الزاوية ؛ وانضاف الى ذلك منامات من الصالحين كثيرة متواترة ، تشهد بأن هذه الحركة مبدأ خير ورشد قدرها الله سبحانه على رأس هذه المائة[٦] فاستحكم الرجاء ، وغلب حسن الظن بسبب هذه الشهادات وقد وعد الله سبحانه باحياء دينه على رأس كل مائة ، ويسر الله تعالى الحركة الى نيسابور ، للقيام بهذا المهم في ذي القعدة ، سنة تسع وتسعين وأربع مائة . وكان الخروج من بغداد في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربع مائة. وبلغت مدة العزلة احدى عشرة سنة . وهذه حركة قدرها الله تعالى ، (وهي) من عجائب تقديراته التي لم يكن لها انقداح في القلب في هذه العزلة[٧] ، كما لم يكن الخروج من بغداد ، والنزوع عن تلك الاحوال مما خطر[٨] امكانه أصلا بالبال ، والله تعالى مقلب القلوب

---

(١) سقط من (د). (٢) سورة « العنكبوت » : الآية ١

(٣) سقط من (د) «سورة الانعام» : الآية ٢٤ . (٤) سقط من (د)

(٥) سورة « يس » : الآية ١١

(٦) يشير الغزالي الى الحديث الشريف :

إن الله تعالى يبعث لهذه الامة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها

رواه ابو داود والحاكم والبيهقي في المعرفة .

(٧) في (د) . مدة العزلة (٨) في (د) : يخطر

والاحوال و « قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن[١] » وأنا أعلم أني ، وان رجعت الى نشر العلم ، فما رجعت ! فان الرجوع عَودٌ الى ما كان ، وكنت في ذلك الزمان أنشر العلم الذي به يكتسب الجاه ، وأدعو اليه بقولي وعملي ، وكان ذلك قصدي ونيتي . وأما الآن فأدعو الى العلم الذي به يُترك الجاه ، ويعرف به سقوط رتبة الجاه .

هذا هو الآن نيتي وقصدي وأُمنيتي ؛ يعلم الله ذلك مني ؛ وأنا أبغي أن أُصلح نفسي وغيري ، ولست أدري أَ أصِل الى مرادي أم أُحترم دون غرضي؟ ولكني أُومن ايمان يقين ومشاهدة أنه لا حول ولا قوة الا بالله (العلي العظيم)[٢] وأني لم أتحرك ، لكنه حركني ، وأني لم أعمل ، لكنه استعملني ؛ فأسأله أن يصلحني أولا ، ثم يُصلح بي ، ويهديني ؛ ثم يهدي بي ؛ وأن يريني الحق حقاً ، ويرزقني اتباعه ، ويريني الباطل باطلا ، ويرزقني اجتنابه .

❀ ❀ ❀

ونعود الآن الى ما ذكرناه من اسباب ضعف الايمان بذكر طريق ارشادهم وانقاذهم من مهالكهم :

اما الذين ادعوا الحيرة بما سمعوه من أهل التعليم، فعلاجهم[٣] ما ذكرناه في كتاب « القسطاس المستقيم » ، ولا نطول بذكره (في)[٤] هذه الرسالة .

وأما ما توهمه أهل الاباحة ، فقد حصرنا شبههم في سبعة انواع وكشفناها في كتاب « كيمياء السعادة » .

---

(١) جاء في ج ٢ ص ٣٠١ من « صحيح مسلم » : ان النبي عليه السلام قال : « إن قلوب بني آدم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن ، كقلب واحد ، يصرفه كيف شاء . » عن ابن عمرو .

(٢) سقط من (د)

(٣) في (ط.ع) : فعلاجه .

(٤) سقط من (د) .

وأما من فسد ايمانه بطريق الفلسفة ، حتى أنكر أصل النبوة ، فقد ذكرنا حقيقة النبوة ووجودها بالضرورة ، بدليل وجود (علم)[١] خواص الادوية والنجوم وغيرهما . وانما قدمنا هذه المقدمة لأجل ذلك . وانما أوردنا الدليل من خواص الطب والنجوم ، لأنه من نفس علمهم . ونحن نبين لكل عالم بفن من العلوم ، كالنجوم والطب والطبيعة والسحر والطلسمات مثلاً من نفس علمه ، برهان النبوة .

وأما من أثبت النبوة بلسانه ، وسوى أوضاع الشرع على الحكمة ، فهو على التحقيق كافر بالنبوة ، وانما هو مؤمن بحكم[٢] له طالع مخصوص ، يقتضي طالعه أن يكون متبوعاً ؛ وليس هذا من النبوة في شيء . بل الإيمان بالنبوة : أن يقر بإثبات طور وراء العقل ، تنفتح فيه عين يدرك بها مدركات خاصة ، والعقل معزول عنها ، كعزل السمع عن ادراك الالوان ، والبصر عن ادراك الاصوات ، وجميع الحواس عن ادراك المعقولات . فإن لم يجوز هذا ، فقد أقمنا البرهان على امكانه ، بل على وجوده . وان جوز هذا ، فقد اثبت ، ان ههنا أموراً تسمى خواص ، لايدور تصرف العقل حواليها اصلاً ، بل يكاد العقل يكذبها ويقضي باستحالتها . فإن وزن دانق[٣] من الافيون ، سم قاتل لانه يجمد الدم في العروق لفرط برودته . والذي يدعي علم الطبيعة ، يزعم أن[٤] ما يبرد من المركبات ، انما يبرد بعنصري[٥] الماء والتراب ؛ فهما العنصران الباردان . ومعلوم ان ارطالاً من الماء والتراب لايبلغ تبريدها في الباطن الى هذا الحد . فلو أخبر طبيعي بهذا ولم يجربه ، لقال : « هذا محال ،

---

(١) سقط من (د)

(٢) في (د.ع) : بحكيم

(٣) الدانق : سدس الدرهم (٤) في (ط) : أنه

(٥) في (ط) : التي يغلب فيها عنصر .

والدليل على استحالته ان فيه نارية وهوائية و، الهوائية والنارية لاتزيدها برودة؛ فنقدر الكل ماء وتراباً ، فلايوجب هذا الإفراط في التبريد . فإن انضم اليه حاران فبأن لايوجب ذلك أولى . » ويقدر هذا برهاناً ! واكثر براهين الفلاسفة في الطبيعيات والإلهيات ، مبني على هذا الجنس ! فانهم تصوروا الامور على قدر ماوجدوه وعقلوه ، وما لم يألفوه قدروا استحالته ، ولو لم تكن الرؤيا الصادقة مألوفة ، وادعى مدع ، انه عند ركود الحواس ، يعلم الغيب ، لانكره المتصفون[1] بمثل هذه العقول . ولو قيل لواحد : « هل يجوز أن يكون في الدنيا شيء، هو بمقدار حبة يوضع في بلدة، فيأكل تلك البلدة بجملتها ثم يأكل نفسه فلا يُبقي [شيئاً] من البلدة وما فيها ، ولايبقى هو نفسه ؟ » لقال: « هذا محال وهو من جملة الخرافات ! » وهذه حالة النار ، ينكرها من لم يرَ النار اذا سمعها. واكثر [انكار] عجائب الآخرة هو من هذا القبيل . فنقول للطبيعي : « قد اضطررت الى ان تقول : في الافيون خاصية في التبريد ، ليست على قياس المعقول بالطبيعة . فلمَ لايجوز ان يكون في الاوضاع الشرعية من الخواص ، في مداواة القلوب وتصفيتها ، مالا يدرك بالحكمة العقلية ، بل لا يبصر ذلك الا بعين النبوة ؟ » بل قد اعترفوا بخواص هي اعجب من هذا فيما اوردوه في كتبهم ، وهي من الخواص العجيبة المجربة في معالجة الحامل التي عسر عليها الطلق ، بهذا الشكل :

ب	ط	د
ز	ه	ج
و	ا	ح

٢	٩	٤
٧	٥	٣
٦	١	٨

(١) في (د،ع) : المتصرفون .

يكتب على خرقتين لم يصبهما ماء ، وتنظر اليهما الحامل بعينها ، وتضعهما تحت قدميها ، فيسرع الولد في الحال الى الخروج . وقد اقروا بإمكان ذلك واوردوه في « عجائب الخواص[١] » وهو شكل فيه تسعة بيوت ، يرقم فيها رقوم مخصوصة ، يكون مجموع مافي جدول واحد خمسة عشر ؛ قرأته في طول الشكل او في عرضه او على التأريب[٢] .

فياليت شعري ! من يصدق بذلك ، ثم لايتسع عقله للتصديق ، بأن تقدير صلاة الصبح بركعتين ، والظهر بأربع ، والمغرب بثلاث ، هو لخواص غير معلومة بنظر الحكمة ؟ وسببها اختلاف هذه الاوقات . وانما تدرك هذه الخواص بنور النبوة . والعجب انا لو غيرنا العبارة الى عبارة المنجمين ، لعقلوا اختلاف هذه الاوقات ، فنقول : « أليس يختلف الحكم في الطالع ، بأن تكون الشمس في وسط السماء ، او في الطالع ، او في الغارب ، حتى يبنوا على هذا في تسييراتهم اختلاف العلاج[٣] ، وتفاوت الاعمار والآجال ، ولا فرق بين الزوال وبين كون الشمس في وسط السماء ، ولابين المغرب وبين كون الشمس في الغارب ، فهل لتصديق ذلك سبب »[٤] الا ان ذلك يسمعه بعبارة منجم ، لعله جرب كذبه مائة مرة . ولا يزال يعاود تصديقه ، حتى لو قال المنجم [له] : « اذا كانت الشمس في وسط السماء ، ونظر اليها الكوكب الفلاني ، والطالع هو البرج الفلاني ؛ فلبست ثوباً جديداً في ذلك الوقت قتلت في ذلك الثوب ! » فإنه لايلبس الثوب في ذلك الوقت ؛ وربما يقاسي فيه البرد الشديد ، وربما سمعه من منجم وقد عرف[٥] كذبه مرات !

---

(١) لم نعثر في فهارس الكتب المعروفة على ذكر لهذا الكتاب .

(٢) لم نعثر حتى في أمهات معاجم اللغة على شرح لهذه اللفظة مناسب للسياق . والظاهر ان الغزالي يقصد بالتأريب قراءة مافي المربع من الزاوية اليمنى العليا الى الزاوية اليسرى السفلى ، أو على العكس .

(٣) في (د.ع) : الهيلاج (٤) في (ط ع) : فهل لتصديقه سبيل

(٥) في (د) : قد جرب

فليت شعري ! من يتسع عقله لقبول هذه البدائع ويضطر الى الاعتراف بأنها خواص — معرفتها معجزة لبعض الانبياء — فكيف ينكر مثل ذلك ، فيما يسمعه من قول نبي صادق مؤيد بالمعجزات ، لم يعرف قط بالكذب ! (ولم لا يتسع لامكانه)[١] .

فان أنكر فلسفي[٢] امكان هذه الخواص في اعداد الركعات ، ورمي الجمار ، وعدد اركان الحج ، وسائر تعبدات الشرع ، لم يجد بينها وبين خواص الادوية والنجوم فرقاً اصلًا . فإن قال : «قد جربت شيئاً من النجوم وشيئاً من الطب ، فوجدت بعضه صادقاً ، فانقدح في نفسي تصديقه وسقط من قلبي استبعاده ونفرته ؛ وهذا لم اجر به ، فبم اعلم وجوده وتحقيقه ؟ » وان اقررت بإمكانه ، فأقول : « انك لا تقتصر على تصديق ما جربته بل سمعت اخبار المجربين وقلدتهم ، فاسمع اقوال الأنبياء فقد جربوا وشاهدوا الحق في جميع ماورد به الشرع ، واسلك سبيلهم تدرك بالمشاهدة بعض ذلك . »

على أني اقول : « وان لم تجربه ، فيقضي عقلك بوجوب التصديق والاتباع قطعاً . فإنا لو فرضنا رجلًا بلغ وعقل ولم يجرب (المرض) ، فمرض ، وله والد مشفق حاذق بالطب ، يسمع دعواه في معرفة الطب منذ عقل ، فعجن له والده دواء ، فقال : « هذا يصلح لمرضك ويشفيك من سقمك . » فماذا يقتضيه عقله ، وان كان الدواء مراً كريه المذاق ؛ أن يتناول او يكذب ويقول : « أنا [لا] أعقل مناسبة هذا الدواء لتحصيل الشفاء ، ولم أجربه ! » فلا شك انك تستحمقه ان فعل ذلك ! وكذلك يستحمقك اهل البصائر في توقفك ! فإن قلت : «فبمَ اعرف شفقة النبي ﷺ ومعرفته بهذا الطب ؟ » فأقول : « وبمَ عرفت [شفقة ابيك] وليس ذلك أمراً محسوساً ؟ بل عرفتها بقرائن احواله وشواهد اعماله في مصادره وموارده علماً ضرورياً لا تتمارى فيه . »

---

(١) سقط من (ط.ع) (٢) في ع : واذا نظر في

ومن نظر في اقوال الرسول ﷺ ، وما ورد من الاخبار في اهتمامه بإرشاد الخلق ، وتلطفه في جر[١] الناس بأنواع الرفق واللطف ، الى تحسين الاخلاق واصلاح ذات البين ، وبالجملة الى ما يصلح به[٢] دينهم ودنياهم ، حصل له علم ضروري ، بأن شفقته ﷺ على أمته اعظم من شفقة الوالد على ولده .

وإذا نظر الى عجائب[٣] ماظهر عليه من الافعال ، وإلى عجائب الغيب الذي أخبر عنه في القرآن على لسانه وفي الاخبار ، والى ماذكره في آخر الزمان ، فظهر ذلك كما ذكره ، علم علماً ضرورياً أنه بلغ الطور الذي وراء العقل ، وانفتحت له العين التي ينكشف منها الغيب الذي لايدركه الا الخواص ، والامور التي لايدركها العقل .

فهذا هو منهاج تحصيل العلم الضروري بتصديق النبي ﷺ . فجرب وتأمل القرآن وطالع الاخبار ، تعرف ذلك بالعيان .

وهذا القدر يكفي في تنبيه المتلسفة ، ذكرناه لشدة الحاجة اليه في هذا الزمان .

واما السبب الرابع — وهو ضعف الايمان بسبب سوء سيرة العلماء — فيداوى هذا المرض بثلاثة أمور :

أحدها : أن تقول : « إن العالم الذي تزعم أنه يأكل الحرام ومعرفته بتحريم ذلك الحرام كمعرفتك بتحريم الخمر [ولحم الخنزير] والربا ، بل بتحريم الغيبة والكذب والنميمة ، وأنت تعرف ذلك وتفعله ، لا لعدم ايمانك بأنه معصية ، بل لشهوتك الغالبة عليك ؛ فشهوته كشهوتك ، وقد غلبته كما غلبتك ، فعلمه بمسائل وراء هذا يتميز به عنك ، لايناسب زيادة زجر عن هذا المحظور المعين .

« وكم من مؤمن بالطب لايصبر عن الفاكهة وعن الماء البارد ، وان زجره

---

(١) في (ع) : في حق ، وفي (د) : سوق

(٢) (٢) في (ط.ع) : إلى مالا يصلح إلا به

(٣) في (د) : أعاجيب

الطبيب عنه ! ولا يدل ذلك على انه غير ضار ، او على ان الإيمان بالطب غير صحيح ، فهذا محمل هفوات العلماء . »

الثاني : ان يقال للعامي : « ينبغي ان تعتقد ان العالم اتخذ علمه ذخراً لنفسه في الآخرة ، ويظن أن علمه ينجيه ، ويكون شفيعاً له حتى يتساهل معه في أعماله ، لفضيلة علمه . وان جاز ان يكون زيادة حجة عليه ، فهو يجوز أن يكون زيادة درجة له ، وهو ممكن . فهو ، وان ترك العمل ، يدلي بالعلم . واما انت ايها العامي ! اذا نظرت اليه وتركت العمل وانت عن العلم عاطل ، فتهلك بسوء عملك ولا شفيع لك ! »

الثالث : وهو الحقيقة ، أن العالم الحقيقي ، لا يقارف معصية الا على سبيل الهفوة ، ولا يكون مصراً على المعاصي أصلًا . اذ العلم الحقيقي ما يعرّف أن المعصية سمٌ مهلك ، وأن الآخرة خير من الدنيا . ومن عرَف ذلك ، لا يبيع الخير بما هو أدنى [منه] .

وهذا العلم لا يحصل بأنواع العلوم التي يشتغل بها أكثر الناس . فلذلك لا يزيدهم ذلك العلم الا جرأة على معصية الله تعالى . واما العلم الحقيقي ، فيزيد صاحبه خشية وخوفاً [ورجاءً] ، وذلك يحول بينه وبين المعاصي الا الهفوات التي لا ينفك عنها البشر في الفترات ، وذلك لا يدل على ضعف الايمان . فالمؤمن مفتنٌ توابٌ ، وهو بعيدٌ عن الإصرار والإكباب .

* * *

هذا ما اردت ان اذكره في ذم الفلسفة والتعليم وآفاتهما وآفات من انكر عليهما ، لا بطريقه .

* * *

نسأل الله العظيم ان يجعلنا ممن آثره واجتباه ، وارشده الى الحق وهداه ، وألهمه ذكره حتى لا ينساه ، وعصمه عن شر نفسه حتى لم يؤثر عليه سواه ، واستخلصه لنفسه حتى لا يعبد الا اياه .

* * *

الفهرس

صفحة

المقدمة

توطئة عامة ١
حياة الغزالي ٤
فلسفة الغزالي ٧
تحليل المنقذ من الضلال ١٨
الشك ١٩
انتقاد الفرق ٢٣
النبوة والاصلاح الديني ٢٩

آثار الغزالي

المطبوعة ٣٣
المخطوطة ٣٧
المفقودة ٣٨
المنحولة ٤٤
اهم المصادر عن الغزالي ٤٦
طبعات المنقذ من الضلال وترجماته ٥٠
ملاحظة ٥١

المنقذ من الضلال

توطئة ٥٥
مداخل السفسطة وجحد العلوم ٦٠

صفحة

اصناف الطالبين ٦٤
علم الكلام : مقصوده وحاصله ٦٦
الفلسفة ٦٩
أصناف الفلاسفة وشمول وصمة الكفر
كافتهم ٧١
الدهريون ٧١
الطبيعيون ٧١
الالهيون ٧١
اقسام علومهم ٧٤
الرياضية ٧٤
المنطقيات ٧٦
الطبيعيات ٧٧
الالهيات ٧٨
السياسيات ٨٠
الخلقية ٨١
مذهب التعليم وغائلته ٨٦
طرق الصوفية ٩٥
حقيقة النبوة واضطرار كافة
الخلق اليها ١٠٥
سبب نشر العلم بعد الاعراض عنه ١١٠

النصوص الفلسفية التي نشرها

الدكتور جميل صليبا والدكتور كامل عياد

١ — **ابن خلدون** (منتخبات مع مقدمة عن حياة ابن خلدون وفلسفته) مطبعة ابن زيدون دمشق ١٩٣٤

٢ — **المنقذ من الضلال للغزالي** ، الطبعة الخامسة ، مطبعة الجامعة السورية، دمشق ١٩٥٦

٣ — **حي بن يقظان لابن طفيل** ، من منشورات مكتب النشر العربي ، مطبعة ابن زيدون دمشق ، الطبعة الاولى ١٩٣٥

النصوص الفلسفية التي نشرها

الدكتور جميل صليبا

١ — **ابن سينا** (منتخبات مع مقدمة عن حياة ابن سينا وفلسفته) من منشورات مكتب النشر العربي، مطبعة ابن زيدون، دمشق، الطبعة الاولى ١٩٣٧

٢ — **الرسالة الجامعة** من مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ، الجزء الاول ١٩٤٨

٣ — **الرسالة الجامعة** ، من مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ، الجزء الثاني ١٩٥١

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

(NEC)
B753
G33